استراتيجية البيريسترويكا
وأثرها في تطبيق سياسة الوفاق
السوفيتية الأمريكية ١٩٨٥-١٩٩١

د/ رضا موسى عبد الوهاب محمد

مدرس بقسم التاريخ والحضارة (شعبة التاريخ الحديث والمعاصر)

كلية اللغة العربية بالقاهرة – جامعة الأزهر

The Perestroika Strategy and Its Impact on the Implementation of the Soviet-American Consensus Policy 1985-1991

Dr. Reda Mosa Abdul Wahab Mohammed
Teacher at the Department of History and Civilization
(Division of Modern and Contemporary History)
- Faculty of Arabic Language in Cairo - Al-Azhar University

استراتيجية البيريسترويكا وأثرها في تطبيق سياسة الوفاق السوفيتية الأمريكية ١٩٨٥-١٩٩١

رضا موسى عبد الوهاب محمد

قسم التاريخ والحضارة (شعبة التاريخ الحديث والمعاصر) – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة – مصر.

البريد الإلكتروني: reda.mosa@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة استراتيجية البيريسترويكا التي انتهجها الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٥، وأثرها في تنمية العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ فبعد أن بلغ الاتحاد السوفيتي ذروة قوته، وأصبح يحتل – بجانب الولايات المتحدة – أحد أهم قوتين في العالم، بدأ الضعف يدبُّ في أوصاله منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين، وأصبح غير قادر على الاستمرار في منافسة الجانب الأمريكي لقيادة العالم، لكن بعد تولّي ميخائيل جورباتشوف قيادة الاتحاد السوفيتي في منتصف ثمانينيات القرن ذاته، اعترف بالضعف والفساد الذي انتشر في جوانب الإدارة السوفيتية، وصارح نفسه وشعبه بهذا الوضع، وقرر مواجهة هذا الضعف والفساد من خلال تدشين استراتيجية جديدة عُرفت باسم: "البيريسترويكا"، وقد نجحت تلك الاستراتيجية في إصلاح بعض جوانب هذا الضعف، إلا أنها أضعفت في الوقت ذاته من نفوذ الحكومة المركزية في الدول التابعة للاتحاد السوفيتي؛ مما أدّى في النهاية إلى انفصال تلك الدول، وتفكك الاتحاد.

وعلى صعيد آخر، أدت استراتيجية البيريسترويكا إلى تنمية العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، حيث شهدت تلك الفترة عدة لقاءات قمة بين الرئيس السوفيتي جورباتشوف، والأمريكي رونالد ريجان، وتقاربت وجهات النظر بين الجانبين؛ فضعفت حدّة سباق التسلّح بينهما، وتوافقت الرؤى حول بعض القضايا الإقليمية، وبدأ الاتحاد السوفيتي في التوجُّه نحو اقتصاد السوق الحرّ، أي أن الاستراتيجية الجديدة أثّرت إيجابًا في العلاقات بين السوفيت والولايات المتحدة الأمريكية.

الكلمات الدالة: الاتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة، استراتيجية البيريسترويكا، ميخائيل جورباتشوف، رونالد ريجان، الحكومة المركزية، تنمية العلاقات، سباق التَّسلُّح، القضايا الإقليمية، اقتصاد السوق الحرّ.

The Perestroika Strategy and Its Impact on the Implementation of the Soviet-American Consensus Policy 1985-1991

Reda Mosa Abdul Wahab Mohammed

Department of History and Civilization (Division of Modern and Contemporary History) - Faculty of Arabic Language - Al-Azhar University - Cairo - Egypt.

Email: reda.mosa@azhar.edu.eg

ABSTRACT:

The aim of this research is studying the perestroika strategy which applied by the Soviet Union in 1985, and its effect on developing relations with the United States. After the Soviet Union reached the peak of its power and became one of the two most important powers in the world beside the United States, but in the mid-seventies of the twentieth century it weakened and became unable to continue competing with the United States to lead the world, but after Mikhail Gorbachev assumed the leadership of the Soviet Union in the mid-eighties of the same century, he recognized the weakness and corruption that spread in the aspects of the Soviet administration. Gorbachev himself and his people declared this situation and decided to confront this weakness and corruption by launching a new strategy known as "perestroika". This strategy succeeded in fixing some aspects of this weakness, except it weakened the influence of the central government in the states of the Soviet Union, which led in the end to the secession of those countries, and the disintegration of the Union.

On the other hand, the strategy of perestroika led to the development of relations between the Soviet Union and

the United States, as the Soviet President Gorbachev and the American Ronald Reagan met several times, the visions of the two sides agreed on some regional issues, the intensity of the arms race between them decreased, and the Soviet Union began to move towards a free economy. This means that the new strategy positively affected the relations between the Soviets and the United States of America.

Keywords: The Soviet Union, the United States, the strategy of perestroika, Mikhail Gorbachev, Ronald Reagan, the central government, the development of relations, the arms race, regional issues, free economy.

مقدمة

إن روسيا بلد قديم ذو تاريخ فريد وحافل بالابتكارات والإنجازات، وقد شهد هذا البلد في ٢٥ أكتوبر ١٩١٧ قيام الثورة الشيوعية التي نتج عنها تأسيس الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٢، وخلال عمره الذي لم يتجاوز السبعة عقود – وهي فترة قصيرة في تاريخ الحضارة الإنسانية – اجتاز تاريخًا يعادل قرونًا، وأصبح واحدة من أقوى الدول في العالم، وحلّ محل الإمبراطورية الروسية القيصرية. امتلك الاتحاد السوفيتي قوى إنتاج ضخمة، وقدرة فكرية جبارة، وثقافة رفيعة، ومجتمعًا فريدًا يضم ما يزيد على مائة أمة وقومية، يعيشون فوق منطقة تشكّل سُدس الكرة الأرضية.

وفي النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين بدأ الاتحاد السوفيتي يفقد قوة اندفاعه، وتكرر الإخفاق الاقتصادي بدرجة أكبر، وبدأت الصعوبات تتراكم وتتدهور، والمشكلات التي لا تجد حلاً تتضاعف، وتأثرت التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وحدث كل هذا في وقت أتاحت فيه الثورة العلمية والتكنولوجية آفاقًا جديدة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي. واتضحت بوادر هذا الوضع في تباطؤ النمو الاقتصادي، حيث تدهورت معدلات نمو الدخل القومي لأكثر من النصف، وبحلول بداية الثمانينيات انخفضت إلى مستوى قريب من الركود الاقتصادي، وبدأ الاتحاد السوفيتي – الذي كان يومًا ما يلحق بسرعة ببلدان العالم المتقدم – يفقد موقعًا بعد آخر، واتسعت الفجوة في كفاءة وجودة المنتجات، والتطور العلمي والتكنولوجي.

وكان الاقتصاد يواجه إرهاقًا ماليّاً متزايدًا، ولم تساعد الدخول النقدية من موارد النفط والطاقة والمواد الخام في تحسين الوضع، حيث استخدمت هذه الدخول في حل مشكلات الساعة، ولم تُستخدم في التحديث الاقتصادي،

وترك هذا الوضع أثرًا سيئًا على جوانب حياة المجتمع السوفيتي الأخرى، وظهر ما يسمى بـ "مبدأ المتبقي" والذي تلقت على أساسه البرامج الاجتماعية والثقافية ما يتبقى في الميزانية بعد ما يخصص للإنتاج، وواجه الاتحاد السوفيتي عدة تناقضات، فعلى الرغم من توفيره عمالة كاملة، وضمانات اجتماعية أساسية، إلا أنه عجز في الوقت ذاته عن تلبية الاحتياجات المتنامية في الإسكان، وفي نوعية – وأحيانًا كمية – المواد الغذائية، وفي التنظيم المناسب للعمل في النقل، وفي الخدمات الصحية، وفي التعليم، وفي حل المشكلات الأخرى. وأصبح الاتحاد السوفيتي – وهو أكبر منتج في العالم للصلب والمواد الخام، والوقود والطاقة – يواجه نقصًا فيها بسبب الاستخدام التبديدي أو غير الكفء، وعلى الرغم من قدرة صواريخ السوفيت الطيران إلى كوكب الزهرة بدقة مذهلة، إلا أنه كان هناك نقصًا واضحًا في كفاءة استخدام المنجزات العلمية للحاجات الاقتصادية.

وعلى الصعيد الأيديولوجي، بدأ تدهور تدريجي في القيم الأيديولوجية والمعنوية للشعب السوفيتي؛ أدّى هذا الوضع إلى مقاومة متزايدة لمحاولات تفحص المشكلات الناشئة، والأفكار الجديدة بشكل دقيق وبنّاء، وجرى تشجيع المديح والخنوع، وتجاهل احتياجات وآراء الناس العاديين، وكان لتقديم الواقع "الخالي من المشكلات" آثاره العكسية؛ فقد حدث انفصال بين القول والعمل؛ مما حفّز على السلبية العامة، وعلى عدم تصديق الشعارات؛ وأدى هذا الوضع إلى فجوة في المصداقية، وأصبح كل ما يُعلن فوق المنابر، ويُطبع في الصحف والكتب الدراسية مثار شك وتساؤل. وبدأ الفساد يسري في الأخلاقيات العامة، والضعف يعرف طريقه إلى الشعور العظيم بالتضامن بين المواطنين والذي تشكّل خلال أوقات الثورة الشيوعية، وزاد

إدمان الخمور والمخدرات والجرائم، وتغلغلت السوقية والأذواق الهابطة إلى الثقافة الجماهيرية.

وفي السياق ذاته، ضعف توجيه الحزب الشيوعي السوفيتي، وانعدمت المبادرة في بعض العمليات الاجتماعية الحيوية، وأخذ كل فرد يلاحظ الركود بين القيادة، وضعُف أداء المكتب السياسي وسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، كما ضعُف الأداء الحكومي، وحل العبث السياسي والتوزيع الواسع النطاق للجوائز والألقاب والمكافآت محل الاهتمام الحقيقي بالشعب، وبظروفه المعيشية وظروف عمله، ولم تعد العديد من تنظيمات الحزب قادرة على الدفاع عن المبادئ، أو الهجوم بحزم على الاتجاهات الخاطئة، وأصبح العديد من أعضاء الحزب في المواقع القيادية فوق الرقابة والنقد، ومما زاد الوضع سوءًا، استمرار الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والغرب وعمومًا، وبين الاتحاد السوفيتي، تلك الحرب التي أعلنها ونستون تشرشل في مارس عام ١٩٤٦ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حين دعا إلى "إظهار قوته إلى الروس" وإلى الاتحاد مع الولايات المتحدة ضد "الشيوعية الشرقية".

لقد عملت الغالبية الساحقة من الشعب السوفيتي بأمانة، وواصل العلم والاقتصاد والثقافة التطور، ومع ذلك فقد كانت الظواهر السلبية مؤلمة، ولا يمكن السماح بها، فالوضع كان خطيرًا، وكان التغيير الشامل مُلِحًّا؛ ولذلك وجد الحزب الشيوعي السوفيتي القوة والشجاعة لكي يقيِّم الوضع بدقة، ويعترف بضرورة إجراء تغييرات وتحويلات أساسية، وقاد الموقف الأمين وغير المتحيز قادة الحزب إلى الاستنتاج المنطقي الوحيد بأن البلاد على شفا أزمة، وقد أعلن هذا الاستنتاج في اجتماع أبريل ١٩٨٥ الكامل للجنة المركزية للحزب، الذي دشَّن استراتيجية البيريسترويكا الجديدة، وصاغ

مبادئها الأساسية. وهذا البحث بتناول تلك الاستراتيجية التي غيّرت توجهات السوفيت على المستوى الداخلي والخارجي، وأثر تطبيق تلك الاستراتيجية على العلاقات السوفيتية الأمريكية، وذلك من خلال مبحثين: الأول بعنوان: نشأة البيريسترويكا ومبادئها، المبحث الثاني: أثر البيريسترويكا في تطبيق سياسة الوفاق السوفيتية الأمريكية.

المبحث الأول: نشأة البيريسترويكا ومبادئها

لقد شكّلت السنوات ١٩٨٢-١٩٩١ عقدًا فريدًا شهد تغييرًا ملحوظًا بالمقارنة للعقود السابقة[١]؛ ففي مارس ١٩٨٥ انتخبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ميخائيل جورباتشوف Mikhail Gorbachev (١٩٨٥- ١٩٩١)* سكرتيرًا عامًا للحزب، وبعد شهر فقط، أي في أبريل ١٩٨٥ وافق الحزب على تدشين استراتيجية البيريسترويكا Perestroika لمواجهة الأوضاع السيئة التي طالت معظم مؤسسات الاتحاد السوفيتي المشار إليها آنفًا[٢].

(1) Water Manon van de, Moscow Theatres for Young People: A Cultural History of Ideological Coercion and Artistic Innovation, 1917–2000, Palgrave Macmillan Press, New York, 2006, P. 88.

* هو ميخائيل جورباتشوف، من مواليد ٢ مارس ١٩٣١ ريفولي – ستافروبول كراي – روسيا، التحق في عام ١٩٥٢ بكلية الحقوق بجامعة موسكو الحكومية، وأصبح عضوًا في الحزب الشيوعي، حصل على ليسانس القانون عام ١٩٥٥، وترقى إلى منصب السكرتير الأول للجنة الحزب الإقليمية في عام ١٩٧٠، ثم إلى منصب السكرتير العام للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٩١ ورئيس الاتحاد السوفياتي في الفترة ذاتها، أدت جهوده لإضفاء الطابع الديمقراطي على النظام السياسي لبلاده وإضفاء اللامركزية على اقتصادها إلى سقوط الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١، حيث أنهى هيمنة الاتحاد السوفيتي على أوروبا الشرقية، ومُنح جائزة نوبل للسلام في عام ١٩٩٠. انظر: موقع الموسوعة البريطانية (زرت هذا الموقع في يناير ٢٠٢١) https://www.britannica.com

[٢] ميخائيل جورباتشوف – البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم – ترجمة حمدي عبد الجوّاد – الطبعة الرابعة – دار الشروق – القاهرة ١٩٩٠، ص ٢١.

وتعني البيريسترويكا إعادة البناء، وأن ما هو قائم غير قادر على البقاء، أو أصابه التصدّع على الأقل، ولم يعد مجرد الترميم يكفي، بل أصبحت مقتضيات الأمان تملي إملاء مهمة إعادة بنائه. وقد صاحب البيريسترويكا سياسة "الجلاسنوست Glasnost" أي الكلام بصوت عال، ومصارحة النفس والآخرين بخطورة الحالة التي آل إليها البناء الذي يعيشون فيه، بما أصبح يملي مهمّة إعادة بنائه، أي أن هناك صلة عضوية بين اللفظين والشعارين، أحدهما يترتب على الآخر، فالصدع خطير في بناء الاتحاد السوفيتي، وبما أصبح ضروريًّا معه تنفيذ البيريسترويكا، ونتائج الصدع لم يعد ممكنًا إخفاء مخاطرها، وبما أصبح ضروريًّا معه أن تكون "الجلاسنوست"[١]. ولم تكن كلمة الجلاسنوست جديدة على القاموس السوفيتي، بل استخدمت قبل ذلك منذ عام ١٩٦٨[٢]، بمعنى أنه كانت هناك محاولات للإصلاح قبل عهد جورباتشوف، لكنها لم تكن بقوة اندفاع استراتيجية البيريسترويكا.

إن الجلاسنوست النزيهة والشاملة هي من المتطلبات المتقدمة لإقامة أي مجتمعات صحية ومعافاة، ومن ضمن ذلك المجتمع السوفيتي، وعدم تطبيق الجلاسنوست يعني عدم تخليص هذا المجتمع مما يعانيه من

---

[١] محمد حسنين هيكل – الزلزال السوفيتي – الطبعة الثانية – دار الشروق – القاهرة ١٩٩٠، ص ص ٣٥، ٣٦.

(2) Maria Esther, The Last Days of Illusion": Glasnost in Moscow News, Master Thesis Unpublished, Department of History and Classics, The Faculty of Graduate Studies and Research, University of Alberta, Edmonton, Canada, 1996, P. 20.

أمراض، ويُعد تستُّرًا على تلك العلل[١]؛ لذا اعتبر جورباتشوف التغيير لا رجعة فيه، وأنه لن يكون هناك تراجع عن الجلاسنوست[٢].

لقد نشأ مفهوم إعادة البناء بكل ما يتضمنه من مشكلات بالتدريج، فقبل اجتماع أبريل الكامل، بدأت مجموعة من قادة الحزب والدولة تحليلاً شاملاً لحالة الاقتصاد، وأصبح تحليلهم بعد ذلك أساسًا لوثائق البيريسترويكا، وهكذا تراكمت ترسانة من الأفكار البناءة، ساعدت الحزب خلال اجتماعه الكامل في أبريل ١٩٨٥ صياغة برنامج منسق ومدروس بعناية لا بأس بها، وإلى وضع استراتيجية محددة لمواصلة تطوير البلاد، وخطة للعمل، وكانت الأولوية العاجلة للغاية هي ضرورة إعادة تنسيق الاقتصاد، وتشديد الانضباط، ورفع مستوى التنظيم والمسئولية، وتمثلت النتائج الأولى في توقف معدّلات النمو الاقتصادي عن التدهور[٣]، وهو ما يؤكد أن البيريسترويكا كانت دعوة واضحة للإصلاح، وليست تحدّيًا ثوريًا"[٤]؛ فالبيريسترويكا لم يكن المقصود منها تحدّي المعارضين لها، بل هي دعوة لهم لقبول الإصلاح.

---

(١) ميخائيل جورباتشوف – مذكرات ميخائل جورباتشوف "روسيا الجديدة" – ترجمة فايز الصُياغ – مؤسسة العبيكان – الرياض ٢٠١٧، ص ١٧٣.

(2) Remington Thomas F., Politics and the Soviet System, Martin's Press, New York, 1989, P. 72.

(٣) ميخائيل جورباتشوف – البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم – مرجع سبق ذكره، ص ٢٥.

(4) Norton Anne, Perestroika and the Struggle for Politics, Washington/US, Journal of Perspectives on Politics, American Political Science Association Press, New Series, No. 8Vol. 13, No. 2, 2015, P. 425.

ومع البدء في تنفيذ استراتيجية البيريسترويكا وقرينتها "الجلاسنوست"، تطلب الأمر البدء في البرنامج الخاص بالتغييرات الديموقراطية الشاملة في الحياة العامة، والذي قُدّم إلى اجتماع يناير ١٩٨٧ الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، وشجّع الاجتماع الكامل الجهود الواسعة لتقوية الأساس الديموقراطي للمجتمع السوفيتي، وتطوير شبكة الحكم الذاتي، وتبنّى الحزب الشيوعي في الاجتماع الكامل للجنته المركزية يونيو ١٩٨٧ "أسس إعادة البناء الجذري للإدارة الاقتصادية"، وربما كان هذا أهم برامج الإصلاح الاقتصادي وأكثرها جذرية منذ طبّق فلاديمير لينينVladimir Lenin (١٨٧٠-١٩٢٤) * سياسته الاقتصادية الجديدة عام ١٩٢١، وهذا الإصلاح يستهدف تحويل التركيز من أساليب الإدارة في الأساس إلى أساليب التدبير الاقتصادي في الأساس، ويدعو إلى إشاعة ديمقراطية الإدارة على نطاق واسع، وإلى التنشيط الشامل للعامل البشري، ويعمل على زيادة استقلال المؤسسات والاتحادات بدرجة كبيرة، ونقلها إلى الحساب الاقتصادي الكامل والتمويل الذاتي، ومنح كافة الحقوق المناسبة لأسر العمل، التي تتناسب أرباحها تناسبًا طرديًا مع كفاءتها، وتحرير الإدارة المركزية من مهام التدخل في إدارة المؤسسات؛ مما يمكنها من التركيز على العمليات الرئيسة التي

* ولد فلاديمير لينين في ١٠ أبريل ١٨٧٠، في سيمبيرسك (أوليانوفسك حاليًا) – روسيا، وهو مؤسس الحزب الشيوعي الروسي، وزعيم الثورة البلشفية ١٩١٧، والمهندس والباني والرئيس الأول للدولة السوفيتية (١٩١٧-١٩٢٤) وبعد وفاته أصبح مصدر "اللينينية"، المذهب الذي تم تقنينه وربطه بأعمال كارل ماركس من قبل خلفاء لينين لتشكيل الماركسية اللينينية، والتي أصبحت وجهة نظر شيوعية للعالم، توفي في ٢١ يناير ١٩٢٤. انظر: موقع الموسوعة البريطانية (زرت هذا الموقع في يناير ٢٠٢١) https://www.britannica.com

تحدد استراتيجية النمو الاقتصادي، ويستهدف هذا الإصلاح – خلال العامين أو الثلاثة التالية من بدئه – الانتقال من نظام الإدارة المغالي في مركزيته والذي يعتمد على الأوامر، إلى نظام ديموقراطي يرتكز على ربط المركزية الديموقراطية بالإدارة الذاتية[١]، حيث اعتبر جورباتشوف التحول إلى الديموقراطية، هو الشيء المحوري في البيريسترويكا[٢]. فهي لم تكن قادرة على تحقيق أي نجاح ما لم تتم عملية إضفاء الديموقراطية عليها[٣].

على الصعيد الاجتماعي، استهدفت البيريسترويكا إعادة هيكلة مجالات المجتمع السوفيتي بأسرها؛ فتضمنت مجالات العلوم والثقافة، والتعليم، والنظم السياسية والقانونية، والسياسة الخارجية، واستهدفت أيضًا إعادة هيكلة الأيديولوجية الشيوعية ذاتها، واعتبرت أن إصلاح هذه المجالات ضرورة ترتبط ارتباطًا وثيقًا ببقاء الشعب السوفيتي، واستمرار وجوده، كما استهدفت التخلي عن الاقتصاد "المغلق" الموجه إلى داخل الاتحاد السوفيتي والانفصال عن العالم، والانتقال بدلا من ذلك إلى اقتصاد مفتوح ومدمج في نظام الاقتصاد العالمي، والسوق الدولية[٤]؛ ومن ثَمّ تأسيس نظام اقتصادي

---

[١] ميخائيل جورباتشوف – البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم – مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٣– ٣٥.

(2) Foreign Relations of the United States (FRUS), Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No.160, Memorandum of Conversation "The President's Second One-on-One Meeting with General Secretary Gorbachev", Moscow, May 31, 1988, P. 1081.

[٣] أرنست ماندل – الاتحاد السوفيتي في ظل جورباتشوف – ترجمة بولا الخوري – دار الواحة – بيروت ١٩٩١، ص ١٥١.

(4) Eatwell John & others, The New Palgrave: problems of the planned economy, The Macmillan Press, London, 1990, P.P 1,2.

يحمي نفسه، بقوته، ومتانته، وقدرته على المنافسة، وليس بقيود تفرضها الحكومة السوفيتية لحماية هذا الاقتصاد.

مبادئ البيريسترويكا:

تتعدد المبادئ الأساسية لاستراتيجية البيريسترويكا، والتي تضمنت في مجملها كل الجوانب الرئيسة في الحياة العامة، وهذه المبادئ كالآتي:

١. التغلب على عملية الركود، وتسريع التقدم الاجتماعي والاقتصادي وإعطائه مرونة أكبر.

٢. التطوير الشامل للديموقراطية، والحكم الذاتي الاشتراكي، وتشجيع المبادرة والمسعى الخلاّق، وتحسين النظام والانضباط، ومزيدًا من الجلاسنوست، والنقد والنقد الذاتي في كافة مجالات المجتمع.

٣. التكثيف الشامل للاقتصاد السوفيتي، وإحياء وتطوير مبادئ المركزية الديمقراطية في إدارة الاقتصاد الوطني، والتطبيق الشامل للأساليب الاقتصادية، والتخلّي عن الإدارة بالأوامر والأساليب الإدارية، وتشجيع التجديد.

٤. التحوّل الحازم إلى الأساليب العلمية، والقدرة على توفير أساس علمي صلب لكل مبادرة جديدة، وهي تعني ربط منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية بالاقتصاد المخطط.

٥. إعطاء الأولوية لتطوير المجال الاجتماعي بهدف التلبية الأفضل دومًا لاحتياجات الشعب السوفيتي لمعيشة وظروف عمل طيبة، ولراحة ورفاهية وتعليم ورعاية صحية جيدة، وهي تعني اهتمامًا

دؤوبًا بالثروة الثقافية والروحية، وبثقافة كل فرد، وثقافة المجتمع ككل[١].

وتتحقق هذه المبادئ وفق ثلاثة أبعاد، وهي: ضرورة تعزيز التعاون والتبادل الدولي، والسعي لتحقيق الكفاءة الاقتصادية، وبلوغ الديموقراطية[٢]. والنتيجة النهائية للبيريسترويكا هي تجديد دقيق لكافة جوانب الحياة السوفيتية، ويتمثل في إعطاء الاشتراكية أكثر الأشكال تقدمية في التنظيم الاجتماعي، والعرض الأكمل للطبيعة الإنسانية للنظام السوفيتي في جوانبه الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والمعنوية، والبيريسترويكا ليست نوعًا من التنوير أو الإلهام، ويكمن جوهرها في حقيقة أنها توحّد الاشتراكية مع الديموقراطية، وتبعث إلى الحياة بالمفهوم اللينيني للبناء الاشتراكي من الناحية النظرية والتطبيقية على السواء، وهذا هو جوهر البيريسترويكا الذي يفسر روحها الثورية، ونطاقها الشامل[٣]؛ فالشمولية أمر أساسي في استراتيجية جورباتشوف لإصلاح كافة مناحي الحياة السوفيتية.

---

[١] ميخائيل جورباتشوف – البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم – مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٥- ٣٦.

[٢] زليخة معلم – دور ميخائيل جورباتشوف في سقوط الاتحاد السوفيتي ١٩٨٥-١٩٩١ – رسالة ماجستير غير منشورة – قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد خيضر – بسكرة _ الجزائر ٢٠١٥، ص ص ٦٧ – ٦٨.

[٣] ميخائيل جورباتشوف – البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم – المرجع السابق، ص ٣٦.

الموقف الداخلي والخارجي من البيريسترويكا

رغم أن الاتحاد السوفيتي واجه صعوبات خطيرة، الأمر الذي جعل تنفيذ استراتيجية البيريسترويكا ضرورة حيوية[١]، إلا أن الآراء حول إصلاحات جورباتشوف قد تباينت، فمنهم من اتهمه بالعمالة للغرب، ومنهم من اتهمه بالحمق وقلة الخبرة، وبأن زمام المبادرة والسيطرة قد أفلت من يده، إذ أصبحت ظروف الاتحاد السوفيتي تهدد بانهيار بعض الأجزاء- أو بانفصال بعضها الآخر، وهذا التباين في فهم خطوات جورباتشوف لم يمنعه من المضي في مبادرته لإصلاح ما اعوج من أوضاع بلاده؛ وبالتالي تحقيق التعادل مع الدول المتقدمة صناعيًا واجتماعيًا وسياسيًا في العالم الغربي[٢]، كما أن هذا التباين جعل البيريسترويكا لم تتقدم بالسرعة المرجوة، حيث إنه من الصعب التغلب على التقاليد القديمة التي تشكّلت على مدى عقود، والوقت مطلوب حتى يتكيف الناس مع الطرق الجديدة، وفهمها[٣].

على الصعيد الشعبي قُوبلت سياسة جورباتشوف "البيريسترويكا" بالترحيب والتأييد من غالبية السكان في الاتحاد السوفييتي، وكان المثقفون، والعلماء من أكثر المتحمسين لأفكاره[٤]. ورغم ذلك لم تنجح استراتيجية

(1) William Davies Robert, Soviet history in the Gorbachev revolution, The Macmillan Press, London, 1989, P. 144.

(٢) كاظم هاشم نعمة – البيريسترويكا- بغداد/العراق – آفاق عربية- وزارة الثقافة والاعلام/دار الشؤون الثقافية العامة- العدد١ – ١٩٨٩، ص ١٥.

(3) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 41, Memorandum of Conversation "Secretary's Meeting with Chairman of the Council of Ministers Ryzhkov ", Moscow, April 14, 1987, P. 180.

(٤) زليخة معلم – مرجع سبق ذكره، ص ص ٧٤، ٧٥.

البيريسترويكا في إنقاذ السوفيت، حيث جاء تشخيص جورباتشوف لمشكلات الاتحاد السوفيتي الاقتصادية متأخرًا؛ لأن الحالة قد وصلت إلى درجة عالية من الضعف(١).

لقد حفلت البيريسترويكا بالعديد من التناقضات، وشهدت مدًا وجزرًا، ويعود ذلك إلى أن إصلاحات البيريسترويكا واجهت مقاومة ضارية من جانب الذين أصبحت التغييرات تهدد امتيازاتهم ونفوذهم وسلطتهم، ولا بد أن يكون هناك متضررين، منهم الموظفين الحكوميين الذين من الممكن أن يجدوا أنفسهم خارج مكاتبهم في حال اعتماد التعددية السياسية والإدارة الذاتية للمؤسسات الاقتصادية، بالإضافة إلى رجال الثقافة الرسمية الذين أثبتوا الولاء للسلطات من خلال مؤلفاتهم، أيضًا من الممكن أن يضار بعض العامة من الشعب أو المواطنون البسطاء، رغم أن إعادة العافية للمجتمع يجب أن تفيدهم على ما يبدو، ولكنهم اعتادوا أن يُتحكم فيهم، كما اعتاد البعض أن يُؤمر، وقد جبلوا على الخمول والركود. ذلك أن الشيوعية المعتمدة على أسلوب الأمر والنهي، ومساواة الصالح بغيره، رغم مساوئها تضمن لكل فرد قدرًا وإن كان ضئيلاً من قوت يومه، وتعطي الأمل في الغد، بينما التغييرات الجديدة – في ظل البيريسترويكا – وبخاصة أن اقتصاد

(١) حازم الببلاوي – النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة – الشويخ/الكويت – مجلة العلوم الاجتماعية – مجلس النشر العلمي/ جامعة الكويت– العدد ٣ – ٢٠٠٤، ص ١٧٨.

السوق يقتضي أن يعمل كل فرد بهمّة ومبادرة، ويتحمل مسئولية مصيره، ولكن هل الجميع مستعدون لذلك[١]؟

ولا شك أن ما حدث في الاتحاد السوفيتي على يد جورباتشوف – تنفيذ استراتيجية البيريسترويكا– كان له بُعد عالمي، إضافة إلى البُعد المحلي؛ وذلك لأن الاتحاد السوفيتي دولة عظمى، فالحدث وإن كان داخليا، إلا أنه لابد أن يتجاوز تأثيره الحدود السوفيتية، ويتوزع بدرجات متفاوتة في أصقاع العالم، كما أن النظام الشيوعي السائد في الاتحاد السوفيتي آنذاك كان يمثل "القطب" بالنسبة للأنظمة الأخرى التي ارتبطت به سياسيًا، بالإضافة إلى البُعد الدولي للدبلوماسية السوفيتية، من خلال علاقات الدولة السوفيتية بالخارج، التي تتأثر أبعادها بما يجري في الداخل، وبجوهر النظام ذاته[٢].

ولذلك عندما طبّق جورباتشوف استراتيجية البيريسترويكا، ونادى بالديموقراطية، اعتبر معارضيه أن سياسته تراجعًا عن الشيوعية، وتأثرت الأنظمة الشيوعية في بعض الدول التابعة للاتحاد السوفيتي، مثل دول شرق أوروبا، وانهارت أنظمتها الشيوعية، وانتهى الأمر بانفصالها عن جسد الاتحاد.

---

(١) فلاديمير ريزنيستشينكو – خمس سنوات من البيريسترويكا – القاهرة/مصر – مجلة المال والتجارة – نادي التجارة– العدد ٢٥٣ – ١٩٩٠، ص ٥٦.

(٢) إبراهيم محمد محمود – المثقف العربي والبيريسترويكا– بيروت/لبنان – مجلة المستقبل العربي – مركز دراسات الوحدة العربية– العدد ١٢٥ – ١٩٨٩، ص ص ١٦٢، ١٦٣.

البيريسترويكا والشيوعية

استغل الكثيرون في الغرب البيريسترويكا للدعاية ضد النظام الشيوعي، والادّعاء بفشله، وبأنها تتضمن تراجعًا عن الشيوعية، ولكي يضع جورباتشوف حدًّا لتلك الدعايات، أكّد أن الاتحاد السوفيتي يطبق إصلاحاته ضمن النظام الشيوعي، ومما يدعم هذا الخيار هو قناعة القادة السوفيت بأن النظام الشيوعي حقق في الماضي إنجازات هائلة في فترة قصيرة من عمر الأمم، رغم الصعوبات التي جابهها، وأن الشيوعية المتضمنة دورًا كبيرًا للتخطيط المركزي، أقدر على تحقيق الإصلاحات المطلوبة في إدارة النظام مما ستكون عليه الحال ضمن إطار النظام الرأسمالي[١]، حتى إن جورباتشوف أكد للرئيس الأمريكي رونالد ريجان Ronald Reagan (١٩٨١-١٩٨٩) * خلال لقاء القمّة الذي جمعهما في موسكو في ديسمبر ١٩٨٨ على موقف السوفيت الثابت بأن إصلاحات البيريسترويكا كانت

---

[١] محمد سليمان الأطرش – البيريسترويكا والاشتراكية والرأسمالية– بيروت/لبنان – مجلة المستقبل العربي – مركز دراسات الوحدة العربية– العدد ١٢٩ – ١٩٨٩، ص ٢١.

* رونالد ويلسون ريجان، ولِد في ٦ فبراير عام ١٩١١، هو الرئيس الأربعون في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، حكم فترتين من ١٩٨١ – ١٩٨٩، وكان الحاكم رقم ٣٣ لولاية كاليفورنيا من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٥، سبق له مزاولة التمثيل في هوليود، وقبل ذلك عمل كمعلق رياضي. انظر: حسني عبد المعز عبد الباسط – من ترومان إلى ريجان مروراً بماو: رؤساء مرتعشون – الرياض/السعودية – مجلة الدبلوماسي – وزارة الخارجية/معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية – العدد ٦٤ – ٢٠١٢، ص ٥٣.

موجهة نحو تطوير الشيوعية(١)، بما يجعلها تتناسب مع تطورات العصر، ومستجدات الواقع الدولي آنذاك.

إن برامج البيريسترويكا والجلاسنوت لا تعني مطلقًا أن الرئيس ميخائيل جورباتشوف كان يرمي إلى تحطيم النظام الشيوعي، وتحويل الاتحاد السوفيتي إلى دولة رأسمالية على غرار النظم الديموقراطية الليبرالية، فهذا الافتراض بعيد كل البعد عن الواقع؛ لأن جورباتشوف زعيم ماركسي، ذهنيته مشربة بالأيديولوجية الماركسية* منذ نعومة أظفاره، فوالده جورباتشوف

(1) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No.160, Op. cit, P. 1082.

* الماركسية تنسب إلى كارل ماركس، اليهودي الأصل، الألماني الجنسية، ويمكن تعريف الماركسية باختصار على أنها نظرية "الاشتراكية العلمية" – هي عبارة عن نظريّة تصوّر وتعكس بشكلٍ حقيقي كافّة الحركات التي تجري في الطبيعة ويُدركها الفكر البشري– تمييزًا لها عن مدارس "الاشتراكية المثالية"– هي نظرية مثالية تدعو إلى بناء مجتمع إنساني سعيد يقوم على الملكية الجماعية والتساوي في توزيع المنتجات والعمل الإلزامي لكل أعضاء المجتمع–؛ لأنها ليست نتيجة لبحث نظري، بل إنها حصيلة لدراسة استقرائية عن النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت قائمة ومتابعة تطوراتها، وتقوم الماركسية على مجموعة من النظريات المحددة والمتتابعة، وأهمها نظرية صراع الطبقات، والتي تنتهي بقيام الطبقة العمالية بثورة اجتماعية تستولي فيها على السلطة، ومن الماركسية استمد لينين – الذي تزعم أول حكومة في الاتحاد السوفيتي بعد الثورة الشيوعية – نظريته المعروفة بالماركسية اللينينية التي تقوم على ثورة البروليتاريا، وهي الطبقة الدنيا المعدمة من المجتمع.

انظر: عادل حزل الشمري – البيريسترويكا وانعكاساتها على دول أوربا الشرقية – الرياض/السعودية – بحوث دبلوماسية– وزارة الخارجية/معهد الدراسات الدبلوماسية– العدد٧ – ١٩٩١، ص ٣٤٥.

ينتمي إلى الجيل الذي شارك بالثورة البلشفية، وأسهم كأي مواطن سوفيتي في بناء النظام الشيوعي خلال سنى العشرينيات والثلاثينيات، وقد ولد ميخائيل جورباتشوف عام ١٩٣٢، وترعرع في وسط ماركسي بحْت، وانتظم في صفوف الحزب الشيوعي السوفيتي إبّان فتوته، وتدرج في الحزب إلى أن وصل القمة عام ١٩٨٥؛ لهذا فإن من الصعوبة لجورباتشوف أن يتخلّى عن الماركسية بعد أن بلغ هذا السن، وفي هذه المرحلة التاريخية حيث أصبح الاتحاد السوفيتي إحدى القوتين العظميين عسكريًا اللتين تتحكمان بمصير العالم، وما البيريسترويكا إلا اجتهاد شخصي للرئيس جورباتشوف في تطبيق الماركسية، وجعلها مواكبة لمتطلبات العصر، مثلما فعل سلفه الرئيس نيكيتا خروشوف Nikita Khrushchev (١٩٥٥-١٩٦٤)* المعروف بتمسّكه بالماركسية، حيث اقتنع في أوائل الستينيات بانتهاج مبدأ التعايش السلمي مع المعسكر الرأسمالي المعادي للشيوعية، حسبما تطلبته المرحلة آنذاك، ولأجل تلافي حرب نووية طاحنة، تنهي وجود هذا الكوكب[١].

* ولد نيكيتا خروشوف في ١٧ أبريل ١٨٩٤، في كالينوفكا – روسيا، كان خروتشوف نجل عامل منجم للفحم، أصبح عضوًا في الحزب الشيوعي الروسي ١٩١٨، تولى منصب السكرتير الأول للحزب الشيوعي السوفيتي ١٩٥٣-١٩٦٤، ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ١٩٥٨-١٩٦٤، اتبع في الشؤون الخارجية سياسة "التعايش السلمي" مع الغرب الرأسمالي، توفي في ١١ سبتمبر ١٩٧١. انظر: موقع الموسوعة البريطانية (زرت هذا الموقع في يناير ٢٠٢١) https://www.britannica.com

[١] مأمون أمين زكي – البيريسترويكا التناقض بين النظرية والتطبيق في الفكر الشيوعي- بغداد/العراق – افاق عربية- وزارة الثقافة والاعلام/دار الشؤون الثقافية العامة- العدد٢ – ١٩٩٠، ص ٢٤.

نتائج البيريسترويكا

نتج عن تطبيق استراتيجية البيريسترويكا انهيار الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية، حيث إنها أضعفت من سطوة الحزب الشيوعي السوفيتي، والحكومة المركزية، في البلدان التابعة للاتحاد، مما جعلها تتوجه نحو الانفصال، كما أدت إلى اختفاء أكبر حزب سياسي في العالم الذي ضم في صفوفه ما يقارب ثمانية عشر مليون عضو، وعلى أثرها اندلعت الحروب الداخلية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وقُدّرت الخسائر البشرية لهذه الحروب بأكثر من مائتي ألف قتيل، وسبعمائة ألف جريح، وأكثر من ثلاثة ملايين مهجّر(١). من جانبه أرجع جورباتشوف السبب وراء فشل البيريسترويكا ومن ثَمّ سقوط الاتحاد السوفيتي، إلى تصرفات أعضاء لجنة الدولة* لحالة الطوارئ(٢).

لقد وصف البعض العلاقة بين تنفيذ استراتيجية البيريسترويكا وانهيار الاتحاد السوفيتي أن جورباتشوف "ترك الجِنّيُّ يخرج من القمقم، ولم يتمكن

---

(١) نجم عبد المحسن – روسيا نظرة من الداخل: التحولات السياسية والاقتصادية الاجتماعية للفترة ١٩٨٥/١٩٩٥– بيروت/لبنان – مجلة المستقبل العربي – مركز دراسات الوحدة العربية– العدد ٢٠٣ – ١٩٩٦، ص ٤٨.

* شكّلها قادة الحزب الشيوعي السوفيتي في أغسطس ١٩٩١، وانتخبوا "غينادي يانايف Gennady Yanayev – نائب الرئيس السوفيتي جورباتشوف ١٩٩٠ـ١٩٩١ – رئيسًا لها، وضمت في عضويتها كلاً من: وزير الدفاع، ووزير الداخلية، ورئيس المخابرات، في حين كان جورباتشوف يتمتع بإجازته السنوية في القرم على البحر الأسود.

انظر: نجم عبد المحسن، المرجع السابق، ص ٤٧.

(2) See: https://arabic.rt.com موقع روسيا اليوم (زرت هذا الموقع في يناير ٢٠٢١)

من إعادته"[١]، في إشارة إلى أن جورباتشوف أطلق الحريات في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية، إلا أن هذا الاطلاق سمح لبعض الجمهوريات – مثل أرمينيا، أذربيجان، إستونيا، أوكرانيا، تركمانستان، روسيا الاتحادية، طاجيكستان، كازاخستان – التفكير في الخروج عن الحكومة المركزية، والانفصال عنها، وعجزت الحكومة المركزية عن مواجهة هذا الخروج.

لم ينتج عن البيريسترويكا تلك السلبيات المشار إليها فقط، بل نتج عنها عدة إيجابيات، وتتحدد الإنجازات الرئيسة للبيريسترويكا في ثلاث مجالات، أولها: تحييد أو تنحية الحزب الشيوعي الحاكم عمليًا، وبلا عنف، الثاني: تقوية وتنمية حرية الإعلام، وحرية تكوين الجمعيات، الإنجاز الثالث: أسست لعهد جديد من العمل الدستوري والبرلماني[٢]؛ ولذلك فإنه بعد مرور خمس سنوات من انطلاقها، أي في عام ١٩٩٠، حققت نجاحات كبيرة في ميادين الحياة الاجتماعية، ولم يكن متوقعًا أن يشهد الاتحاد السوفيتي انتخاب النواب بدلاً من تزكيتهم، ولم يكن متوقعًا أيضًا أن يعلن الحزب الشيوعي رفضه احتكار السلطة، وأن تبدأ التعددية تترسخ في المجال الاقتصادي، فضلاً عن المجال السياسي والأيديولوجي والثقافي، وأن يعترف هذا البلد بتعدد أشكال الملكية، ويخطو خطوات أولى نحو النظام الرأسمالي[٣]. وفي مجال الحريات والإعلام، أدرك جورباتشوف حاجته إلى

(1) Holmes Leslie, Perestroika: A Reassessment, Oxford/UK, Journal of Europe-Asia Studies, Taylor & Francis Press, Vol. 65, No. 2, 2013, P. 186.

(2) Miller John, Mikhail Gorbachev and the End of Soviet Power, The Macmillan Press, London, 1993, P. 204.

[٣] فلاديمير ريزنيستشينكو – مرجع سبق ذكره، ص ٥٥.

دعم المثقفين، والأدباء، والكتّاب، والفنانين، والصحفيين، ومخرجي الأفلام، والمسرحيين؛ لقدرتهم على إقناع النُّخبة والجماهير أن البلاد بحاجة إلى إصلاح كبير، وأن عملية الإصلاح تلك بطيئة ومؤلمة(١).

وعلى الصعيد العلمي، فقد كان الاتحاد السوفيتي قبل البيريسترويكا منغلقا علميًا، لا يسمح بخروج العلماء السوفيت خارج حدوده، حفاظًا على القدرة العلمية السوفيتية؛ فأدى ذلك إلى إيجاد فوراق علمية – نوعًا ما – بين الاتحاد السوفيتي والعالم الخارجي، لأن الحركة العلمية تحتاج إلى تبادل الخبرات والاطلاع المستمر على ما توصّل إليه الآخرون، إلا أنه بعد تطبيق البيريسترويكا اتجه السوفيت نحو التعاون الدولي في المجالات العلمية، حيث وقّع جورباتشوف في ٢٣ أغسطس ١٩٩٠ على مرسوم بإنشاء "أكاديمية العلوم في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية"، وكان من بين مهامها الرئيسة تنظيم روابط دولية واسعة من خلال إنشاء منظمات ومراكز بحثية مشتركة، ووضع برامج لتبادل العلماء، وتعيين علماء من الخارج، وإرسال علماء سوفيت للعمل في المختبرات والمنظمات العلمية الدولية(٢)؛ فانغلاق الاتحاد السوفيتي على نفسه في مجال العلوم، أضرّ بالمستوى العلمي السوفيتي، حيث إن الحياة العلمية تتطلب المشاركة، وتبادل الخبرات، فتوجهت البيريسترويكا نحو المشاركة العلمية الفعّالة مع الآخرين، والاستفادة منهم.

(1) Galeotti Mark, Gorbachev and his Revolution, The Macmillan Press, New York, 1997, P. 68.

(2) Berry M.J., Perestroika and the Changing Nature of East-West Scientific Contacts, Washington/US, Journal of Technology in Society, Pergamon Press plc, Vol. 13, 1991, P.P 153,162.

ومثلما منع الاتحاد السوفيتي خروج العلماء، وضع أيضًا قيود على هجرة مواطنيه إلى الخارج؛ مما دعا الرئيس ريجان إلى التنويه خلال قمة ريكيافيك Reykjavik – سيأتي الحديث عنها – على ضرورة إلغاء هذه القيود، التي أدّت إلى تقييد حركة المواطنين السوفيت، وظهور مشكلة العائلات المنقسمة، التي تعاني من أن بعض أفرادها في الداخل، والبعض الآخر في الخارج، ولا يلتقون بسبب تلك القيود، من جانبه وعد جورباتشوف بحل مثل هذه المشكلات(١).

(1) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 1, Memorandum for the Record "Reykjavik Chronology", Washington, October 18, 1986, P. 3.

المبحث الثاني: أثر البيريسترويكا في تطبيق سياسة الوفاق السوفيتية الأمريكية

كان الانفتاح على الغرب، والتعامل معه، جزءًا جوهريًا من استراتيجية البيريسترويكا[١]، وهو ما جعل الرئيس الأمريكي ريجان يؤيد جورباتشوف واستراتيجيته، واعتقد بأن هذه الاستراتيجية ستقدم الكثير لجورباتشوف[٢]، وفي هذا الإطار سعى جورباتشوف إلى عقد اتفاق شامل مع الغرب، وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية، وتحقيق ممارسة "التعايش السلمي المتقدم" الذي يفترض تنازلات عديدة من الكرملين مقابل مغانم اقتصادية مهمّة، ومن العبث أن ننسب إلى جورباتشوف وأعوانه مشروع إعادة إرساء الرأسمالية في الاتحاد السوفيتي، فهدفه الأول والرئيس من التقارب مع الغرب – والذي كانت تشاطره إياه غالبية الاتجاهات والمواقع الحساسة في الاتحاد السوفيتي مثل الحزب الشيوعي – هو الحاجة الملحة إلى تخطّي كل من الجمود وسوء أداء الاقتصاد، فضلاً عن دفع ثمن مرتفع للبيريسترويكا إذا ما توجّب ذلك، واستمر جورباتشوف ومعاونوه الأساسيون يكررون: ما لم تتحقق البيريسترويكا على نحو جذري وسريع؛ فسيصبح الاتحاد السوفيتي سريعًا قوة من الدرجة الثانية، هذا فضلاً عن أنه سيصاب بتأخر تكنولوجي عن الدول الغربية يستحيل تعويضه، حتى في المجال العسكري[٣].

---

(1) White Stephen & others, Developments in Soviet and Post-Soviet Politics, Second edition, The Macmillan Press, London, 1991, P. 255.

(2) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No.160, Op. cit, P. 1084.

(٣) أرنست ماندل – مرجع سبق ذكره، ص ١٩٩.

ومن القضايا التي أوجدتها البيريسترويكا وأدت إلى التقارب الأمريكي السوفيتي، قضية الدين في الاتحاد السوفيتي، الذي شنّ عليه لينين وستالين هجومًا ممنهجًا، وأقاموا حملة دعائية إلحادية لتصوير رجال الدين كأعداء للشعب، إلا أنه في ظل الاستراتيجية الجديدة، لم يعد السوفيت يرون الدين عدوًّا للشعب(١). أيضًا أدّى قرار جورباتشوف سحب القوات السوفيتية من أفغانستان عام ١٩٨٩ إلى التقارب الأمريكي السوفيتي، حيث اعتبرت الولايات المتحدة أن جورباتشوف لم يكن مسئولاً عن التدخل السوفيتي في أفغانستان، وأنه ورث هذه المشكلة، لكنه كان شجاعًا حين اتخذ قرار سحب قواته من أفغانستان(٢)، وكانت هذه المشكلة تقف حجر عثرة في طريق تطبيق سياسة الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

أما الهدف الثاني "للتعايش السلمي المتقدم" فهو إيقاف الحصار التجاري، وإيقاف حظر التكنولوجيا المتقدمة الذي فرضته واشنطن بعد التدخل السوفيتي في أفغانستان، أما من الناحية العملية الملموسة فإن ذلك يقتضي الحصول على قروض من الدول الغربية لتحديث الاتحاد السوفيتي، وهذه القروض مهمة بشكل خاص لتأمين استمرارية تموين البلاد السوفيتية بالمنتجات الزراعية من الحبوب الغربية – حيث بلغ إجمالي ما استورده

(1) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 148, Memorandum from the President’s Assistant for National Security Affairs (Powell) to President Reagan "Reading on Religion in the USSR", Washington, May 3, 1988, P. 981.

(2) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 156, Memorandum of Conversation "The President’s First One-on-One Meeting with General Secretary Gorbachev", Moscow, May 29, 1988, P. 1045.

الاتحاد السوفيتي من هذه المنتجات خلال عام ١٩٨٨ أربعين مليون طن، سواء من الدول الغربية أو غيرها – واستيراد التكنولوجيات الحديثة من جديد، من دون أن يؤثر ذلك على الصادرات السوفيتية التي تتنامى بالنسب ذاتها، وكان ستالين قد سعى عبثًا للحصول على قروض مماثلة في نهاية الحرب العالمية الثانية، وشكّل رفض واشنطن منحه القروض – في وقت كان الاتحاد السوفيتي مستنزفًا – أحد الأسباب الأساسية لكل من الاستيعاب السوفيتي لأوروبا الشرقية وتقسيم أوروبا إلى "معسكرين"، وقد أمل ستالين الحصول على ستة مليارات دولار من روزفلت–ترومان، أما جورباتشوف فسعى للحصول من رونالد ريجان على ما يعادل عشرة أضعاف هذا المبلغ مجدولة على سنوات عدة. جدير بالذكر أن السعي لاتفاق شامل مع الغرب تطلّب التعاون الوثيق بين واشنطن وموسكو لإنهاء ما اتفق على تسميته بالنزاعات الإقليمية التي تعني بشكل خاص أمريكا الوسطى وإفريقيا الجنوبية (ناميبيا، أنجولا، جنوب أفريقيا)، وأفريقيا الشمالية الشرقية (أثيوبيا، أريتريا)، والشرق الأوسط (فلسطين، لبنان، الحرب العراقية الإيرانية وتأثيرها على منطقة الخليج العربي)، وأفغانستان وكمبوديا، وكان جورباتشوف قد أفصح بوضوح عن نيته حل هذه النزاعات الإقليمية بالاتفاق مع الولايات المتحدة[١]، إلا أن الاتفاق حول تلك القضايا كان – في أغلب الأحيان – يتم لصالح الجانب الأمريكي، ووفق توجّهاته، والمثال على ذلك قضية فلسطين، التي ما زالت الولايات المتحدة تقف في جانب اليهود، وضد المصالح الفلسطينية، ولم يستطع الجانب السوفيتي مساندة الفلسطينيين.

---

[١] أرنست ماندل – مرجع سبق ذكره، ص ٢٠١.

وقد توجّه جورباتشوف نحو تطبيق سياسة الوفاق مع الولايات المتحدة في ظل عهد الرئيس ريجان، على الرغم من أن بداية عهد هذا الرئيس الأمريكي ١٩٨١ شهد تذبذبًا في العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، حيث وقعت عدة أحداث زادت من التوتر بين البلدين، منها: قمع السوفيت حركة "التضامن العمالية* في بولندا في ديسمبر ١٩٨١، وتدمير مقاتلة نفاثة سوفيتية لطائرة ركاب مدنية تابعة للخطوط الجوية الكورية في سبتمبر ١٩٨٣، بالإضافة إلى استمرار الاحتلال السوفيتي لأفغانستان منذ عام ١٩٧٩[١]، لكن نظرًا لتأكد الولايات المتحدة بأن الاتحاد السوفيتي يمرّ بمرحلة فارقة على يد جورباتشوف، وأنه جاد في التعاون مع الولايات المتحدة، استطاع الجانبان تجاوز مرحلة تذبذب العلاقات التي شهدتها فترة بداية حكم ريجان، وبدأ الجانبان في التوافق حول بعض القضايا العالقة، وأهمها قضية تخفيض التسليح.

لقد اعتبر جورباتشوف قضية نزع السلاح على نطاق واسع، ذات ارتباط وثيق بقضايا التطور السياسي والاقتصادي الذي يعد هدفًا أساسيًا للبيريسترويكا، وهذا ما يؤكد أهمية ترسيخ قواعد الأمن المتبادل، فالمنطلق الأيديولوجي في الصراع بين الأنظمة الاجتماعية المختلفة، يؤدي إلى ضررٍ فادح؛ لذا فالمشكلات السياسية لا يمكن أن تُحل إلا بوسائل سياسية،

* هي حركة مناوئة للحكومة البولندية في ظل الحقبة السوفيتية، نظمت العديد من الاحتجاجات ضدها اعتراضًا على سوء الأحوال السياسية والاقتصادية. انظر: موقع وزارة الخارجية البولندية (زرت هذا الموقع في يونيو ٢٠٢١) https://www.gov.pl

[١] فرانسيس ويتني وآخرون – موجز التاريخ الأمريكي – وزارة الخارجية الأمريكية – واشنطن ٢٠٠٠، ص ١٨٤.

والمشكلات الإنسانية لا تُحل إلا بالوسائل الإنسانية، وبناءً عليه صاغ السوفيت سياسة جديدة نحو الولايات المتحدة وغيرها من القوى والتكتلات الدولية، حيث استندت هذه السياسة أربع قواعد، القاعدة الأولى: تحييد أوروبا، بمعنى أن الاتحاد السوفيتي في ظل السياسة الجديدة اعتبر جميع دول أوروبا الشرقية "حرة في خياراتها" وهذا يعني إمكانية تحويل العلاقة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة من المجابهة إلى السلام في المجال الأوروبي الشرقي والغربي، وهنا تنتفي الدوافع والسياسات المؤدية للحفاظ على ترسانات الأسلحة النووية، والجيوش الأجنبية في أوروبا[1]، فجورباتشوف أراد القضاء على سباق التسلح، من خلال القضاء على أسبابه، ومن أبرز الأسباب تلك القضايا التي تثير مخاوف أحد الطرفين من الطرف الآخر، فيلجأ الطرفان إلى التسلّح، للتخلُّص من تلك المخاوف، والتي تتوقف بتصفية الخلافات حول القضايا المثارة بين الجانبين.

القاعدة الثانية لسياسة الاتحاد السوفيتي الجديدة تجاه الولايات المتحدة: تنشيط الاقتصاد السوفيتي، وذلك من خلال تخفيض الميزانية العسكرية عبر تطبيق برنامج حقيقي لنزع السلاح بين الشرق والغرب، وتعزيز التعاون مع الغرب عبر تطبيق التبادل التجاري، بالإضافة إلى جعل أوروبا الغربية تتحمل أعباء الأزمة الاقتصادية لبلدان أوروبا الشرقية، بعد أن يتخلّى عنها السوفيت تدريجيًا. تأتي بعد ذلك القاعدة الثالثة وهي: الإبقاء على الاتحاد السوفيتي قوة كبرى، حيث حاول السوفيت إخفاء طابع الفشل الأيديولوجي للنظرية الماركسية–اللينينية باعتباره السبب الجوهري لظهور أحداث التغيير؛ لذا هددوا بالإبقاء على أجواء الحرب الباردة في أوروبا، إذا

[1] كاظم هاشم نعمة – مرجع سبق ذكره، ص ٢١.

ما جرت محاولات استغلال هذه الأحداث باعتبارها انتصارًا للرأسمالية على الشيوعية، فالسوفيت يعتقدون بأن ما يحدث في أوروبا الشرقية من حركات قومية، جاء نتيجة لتطبيق سياسة البيريسترويكا، لذا فمن غير المسموح به تحويل هذه الأحداث إلى هزيمة أيديولوجية وسياسية للاتحاد السوفيتي، بل يفترض منها تعزيز دوره كقوة كبرى في نظام التوازن العالمي. وفيما يتعلق بالقاعدة الرابعة لسياسة السوفيت الجديدة حِيالَ الولايات المتحدة فتتمثل في: صيانة الحدود الدولية، بمعنى أنه من الممكن القبول بتبديل النظم السياسية، أو تحويل اقتصادياتها نحو الليبرالية، أو اختفاء الدور السياسي للأحزاب الشيوعية، بشرط الإبقاء على الحدود الراهنة للخريطة السياسية التي وضعت بعد الحرب العالمية الثانية، من جانب آخر اعتبر السوفيت الأحلاف العسكرية* غير قطعية، وبناء عليه عرضوا التوصل للتصفية المتقابلة للأحلاف العسكرية، واعتماد الاتفاقيات الدولية لضمان الأمن الأوروبي، والسوفيتي، والعالمي، وذلك من خلال إزالة تلك الأحلاف والتكتلات العسكرية، وتصفية بؤر التوتر في الشرق الأوسط؛ لتجنب تحويلها إلى نقاط تصادم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي[١]. إلا أن الجانبان لم يتطرقا إلى قضية تصفية تلك الأحلاف خلال اللقاءات التي جمعت بين الرئيسين

* ومن بين الأحلاف العسكرية التابعة للمعسكر الرأسمالي: حلف شمال الأطلسي ١٩٤٧، حلف الأنزوس ١٩٥١، حلف جنوب شرق آسيا ١٩٥٤، أما الأحلاف العسكرية التابعة للمعسكر الشيوعي، فمن بينها حلف وارسو ١٩٥٥، التحالف السوفيتي الصيني ١٩٥٠، معاهدة الصداقة السوفيتية الهندية ١٩٧١. انظر: هشام محمد سعيد – الأحلاف العسكرية والسياسية المعاصرة والآثار المترتبة عليها دراسة فقهية مقارنة – المجلد الأول – دار اليسر للنشر – القاهرة ٢٠١٣، ص ص ١٤٣، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٥، ١٥٩.

[١] كاظم هاشم نعمة – مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.

السوفيتي والأمريكي – كما سيتضح في السطور التالية – ما يعني أن العرض السوفيتي المتعلق بتصفية الأحلاف العسكرية لم يلق قبولاً أمريكيًا.

وقد عملت سياسة "الوفاق" مع الولايات المتحدة التي اتبعها جورباتشوف في خدمة هدف مزدوج، فمن الناحية الأولى يتعلق الأمر بتخفيض الكلفة في مجال سباق التسلح، وهي كلفة مفروضة من قبل الدول الغربية، ولم يعد بوسع الاتحاد السوفيتي أن يتحمل أعبائها، وهذا لا يعني على الإطلاق "نزع سلاح" الاتحاد السوفيتي بمواجهة الغرب، ولا حل القوات المسلحة السوفيتية، بل إنه يعني بالأحرى تحديثها بتكاليف أقل من خلال تهميش الانفاق النووي تدريجيًا، وكسب التكافؤ التكنولوجي مع الغرب في مجال الأسلحة التقليدية، وكان هذا التكافؤ قد اتجه لصالح الغرب[١].

تجدر الإشارة إلى أن توجّه الاتحاد السوفيتي نحو انتهاج سياسة الوفاق مع الولايات المتحدة والغرب عمومًا، لم يظهر فجأة مع صعود جورباتشوف رسميًا إلى السلطة في مارس ١٩٨٥، بل بدأ هذا التوجه في أواخر عام ١٩٨٢، عندما كان جورباتشوف ببساطة الأبرز بين جيل محدِّثي الاتحاد السوفيتي، وكان له اليد العليا في الصراع الداخلي الذي شهده الحزب الشيوعي بين مؤيدي ومعارضي تطبيق استراتيجية البيريسترويكا[٢]، ورغم نجاح جورباتشوف في التغلب على معارضة البيريسترويكا داخل الحزب الشيوعي السوفيتي، ومن ثَمّ تدشينها عام ١٩٨٥، إلا أن المعارضين لها

---

[١] أرنست ماندل – مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٠.

(2) Patman Robert G., Reagan, Gorbachev and the Emergence of 'New Political Thinking', Cambridge/UK, Journal of British International Studies Association, Cambridge University Press, Vol. 25, No. 4, 1999, P. 601.

استمروا في معارضتها؛ حيث وجدوا فيها تهديدًا لمصالحهم، ولتطلعاتهم السياسية.

لقاءات القمة وبداية التقارب السوفيتي الأمريكي

مرت العلاقات بين الرئيس السوفيتي جورباتشوف، والأمريكي ريجان، بثلاث مراحل، الأولى طغى عليها الشك المتبادل، وامتدت حتى نوفمبر ١٩٨٥، المرحلة الثانية شهدت نشاطًا متصاعدًا، وعَقْد لقاءات بين الرئيسين، امتدت حتى نهاية عام ١٩٨٨، أما المرحلة الثالثة فشهدت توقفًا في العلاقات، وامتدت بعد عام ١٩٨٨[1]، وكان لوزير الخارجية الأمريكي آنذاك جورج شولتز George Pratt Shultz (١٩٨٢-١٩٨٩) دورًا محوريًا في تعميق سياسة التقارب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي*، وقد أعطى جورباتشوف لموضوع نزع السلاح أولوية في فتح المحادثات مع الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية ما جعل هذه القضايا محورًا أساسيا في العلاقات بين الشرق والغرب، وأعلن جورباتشوف أمام الجمعية العامة

(1) McCauley Martin, Gorbachev and Perestroika, Martin's Press, New York, 1990, P. 180.

* ولد جورج شولتز في مدينة نيويورك في عام ١٩٢٠ ودرس الاقتصاد قبل أن يخدم في سلاح مشاة البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، شغل في الخمسينيات مناصب أكاديمية عليا، وكان مستشارا اقتصاديا في إدارة الرئيس أيزنهاور. وفي عهد ريتشارد نيكسون عام ١٩٦٩، تمّ تعيين شولتز وزيراً للعمل، وفي عام ١٩٨٢ عيّن رونالد ريغان شولتز وزيراً للخارجية. وفي النصف الثاني من الثمانينيات سعى شولتز للتواصل مع الزعيم السوفيتي آنذاك ميخائيل جورباتشوف، في محاولة منه لتخفيف توترات الحرب الباردة انظر: موقع هيئة الإذاعة البريطانية (زرت هذا الموقع في يناير ٢٠٢١) https://www.bbc.com

للأمم المتحدة في ٧ نوفمبر ١٩٨٨ عن أن بلاده قلصت حجم القوات المسلحة بمقدار نصف مليون جندي أي ١٠ % من إجمالي القوات المسلحة، ويشمل التقليص أيضًا المعدات العسكرية[١]، وقد اعتبر جورباتشوف أن السبب في تضخم الترسانات الحربية لدى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ما هو إلا مظهر من مظاهر عدم الثقة، بل انتاب كل جانب الخوف من الجانب الآخر؛[٢] ولذلك بادر جورباتشوف بطلب تقليص الإنفاق العسكري، والحد من انتشار الأسلحة النووية، لإزالة تلك المخاوف، وبناء حالة من الثقة، والبدء في تنفيذ سياسة الوفاق بين الجانبين.

وقد قسّم جورباتشوف مقترحاته بشأن تخفيض التسليح إلى عدة أقسام، بيانها كالآتي:

- تخفيض الأسلحة النووية والصواريخ متوسطة المدى.
- الإلغاء الكامل لجميع الأسلحة النووية حتى عام ٢٠٠٠.
- فرض الحظر على البحوث المتعلقة بتطوير أو نشر أسلحة الفضاء الهجومية.
- الحظر الشامل على التجارب النووية.
- الحد من الأسلحة التقليدية في أوروبا.

---

[١] زليخة معلم – مرجع سبق ذكره، ص ٨٣.

(2) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 104, Memorandum of Conversation, Washington, December 4, 1987, P. 599.

- المطالبة بحل جميع التكتلات والمعاهدات ذات البعد العسكري والتوقف عن توسيعها أو إنشاء أحلاف جديدة[١].

وفيما يتعلق بإلغاء وتصفية السلاح النووي؛ فإن القرن العشرين وهب البشرية طاقة الذرة، بيد أن مكسب العقل العظيم هذا يمكن أن يغدو بالنسبة للبشرية أداة للانتحار، ويمكن حل هذا التناقض من خلال قناعة الدول بإمكانية إيجاد السُبل الفعّالة لتصفية السلاح النووي، واعتبارها مهمة ممكنة التحقيق إن تمت المسارعة لحلّها بلا تأجيل، وقد اقترح الاتحاد السوفيتي البدء اعتبارًا من عام ١٩٨٦ بتنفيذ برنامج تخليص البشرية من الخوف من الكارثة النووية، وذلك من خلال ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: يقلص الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة إبّان فترة ٥–٨ أعوام بمرتين الأسلحة النووية التي تبلغ أراضي بعضهما البعض، ويبقى على الحاملات المتبقية لديهما ما لا يزيد عن ستة آلاف شحنة لدى كل منهما، المرحلة الثانية: وتبدأ في وقت لا يتعدى عام ١٩٩٠، وتستغرق فترة ٥–٧ أعوام، تنضم إلى نزع السلاح النووي الدول النووية الأخرى، وتتعهد بتجميد كافة أسلحتها النووية، وكذلك بعدم وضعها في أراضي البلدان الأخرى، المرحلة الثالثة: تبدأ في وقت لا يتجاوز عام ١٩٩٥، وتنجز خلالها تصفية جميع الأسلحة النووية المتبقية، وبحلول عام ١٩٩٩ لن يتبقى سلاح نووي على الأرض، وإجراء اتفاق شامل من أجل ألا يظهر هذا السلاح أبدًا. وتطلّع السوفيت ولوج الألف عام الثالثة بدون سلاح نووي على أساس اتفاقات مقبولة للطرفين، وخاضعة للرقابة الصارمة، ولو تمسكت الولايات المتحدة بهدف تصفية السلاح النووي تمامًا وفي كل مكان، فإنه سوف تتاح لها الإمكانية العملية

[١] زليخة معلم – مرجع سبق ذكره، ص ٨٢.

لممارسة ذلك فعلا، وبدلاً من تضييع فترة ١٠-١٥ عامًا القادمة في صنع سلاح جديد في الفضاء بالغ الخطورة بالنسبة للبشرية، يُراد به على حد الزعم جعل الأسلحة النووية – في إشارة إلى مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية – غير ضرورية، إلا أنه من الأفضل الشروع في إتلاف هذه الأسلحة نفسها، وتصفيتها كليًا[١].

وكانت مقترحات نزع السلاح النووي الجزئي في أوروبا أشد المبادرات على صعيد السياسة الخارجية التي اتخذها ميخائيل جورباتشوف تأثيرًا في العالم، وقد تميزت بجهود وساطة استثنائية، تكللت عمومًا بالنجاح، إذ وضعت الغرب أمام تحدٍّ يتعلق بتطبيق خياره الخاص المسمى "الخيار صفر المزدوج"، (أي إلغاء الصواريخ النووية متوسطة وقصيرة المدى)، لقاء الإطاحة بالمواقع التي تدافع عنها الدبلوماسية السوفيتية، وقد أدت المبادرة المذكورة إلى توقيع الاتفاق السوفيتي الأمريكي حول "الخيار صفر" في ٨ ديسمبر ١٩٨٧، ثم واصل فريق جورباتشوف اندفاعه؛ فاستكمل هذه المبادرة باتفاق حول خفض الصواريخ الاستراتيجية، لا بل حول الإلغاء الكامل للأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية، وبخفض أساسي "للأسلحة التقليدية" في أوروبا[٢].

وقد تحقق ذلك خلال لقاءات القمة التي جمعت بين الرئيسين السوفيتي والأمريكي جورباتشوف وريجان في الفترة من ١٩٨٥-١٩٨٨،

---

[١] ميخائل جورباتشوف – تصريح ميخائل جورباتشوف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ١٩٨٦- القاهرة/مصر – مجلة المال والتجارة – نادي التجارة – العدد ٢٠٢ – ١٩٨٦، ص ص ٢٦، ٢٧.

[٢] أرنست ماندل – مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.

ورغم أنه ظل الحذر مخيما على الأجواء في وزارة الخارجية الأمريكية فيما يتعلق بالمسئولين الجدد في الاتحاد السوفيتي بدءًا من عام ١٩٨٥، إلا أن الرئيس الأمريكي رونالد ريجان اعتبر جورباتشوف الأقل عدائية والأكثر ذكاءً، وقد قال ريجان: "شعرت بأنه لو تفاوض الزعماء في قمة و خرجا يدا بيد قائلين: اتفقنا على هذا الأمر، ولم تسمح لي فرصة لتجربة فكرتي حتى لقيت "جورباتشوف"، وها أنا اليوم قد حظيت بفرصتي". إلا أن اللقاء بين الرئيسين السوفيتي والأمريكي لم يلق مزيدًا من الاهتمام؛ بسبب معارضة جورباتشوف لبرنامج "مبادرة الدفاع الاستراتيجي"* الأمريكية، الذي سيزيد مشكلة انتشار السلاح النووي تفاقمًا، ومما زاد الأمر تفاقمًا إعلان المركب الصناعي العسكري الأمريكي عن أنه على وشك إنتاج صواريخ معترضة، وأنه على السوفييت أن لا يقفوا في وجه طموحهم، وأكد ريجان في مذكراته عام ١٩٨٥ على الخلاف بين وزارتي الخارجية للبلدين سيحول دون أية تسوية بين الطرفين، أما جورباتشوف فقد أكد على عزمه فيما يتعلق بأمن العالم من خطر السلاح النووي بقوله: "إن الاتحاد السوفييتي عاقد العزم على

* تبلورت في عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريجان فكرة مشروع متكامل للدفاع ضد الصواريخ الباليستية عندما أعلن في عام ١٩٨٣ عن "مبادرة الدفاع الاستراتيجي"، التي عرفت فيما بعد باسم "حرب النجوم"، وهي مبادرة مثلت تحولاً في الفكر الدفاعي الاستراتيجي الأمريكي، سواء بالنسبة لمسرح العمليات، أو وسائل الدفاع، وتقوم المبادرة على نقل ميدان المعركة ضد الصواريخ الباليستية من الأرض إلى الفضاء، تجنبًا لحجم الخسائر، ورفعًا لفرص القضاء على الصواريخ المهاجمة إلى أعلى درجة ممكنة، وهي في طريقها من محطة الإطلاق إلى الهدف. انظر: خليل قنصل – عسكرة الفضاء: استراتيجية التوتر الدائم والرؤية الأمريكية لصياغة العالم– عمّان/الأردن – المجلة الثقافية – الجامعة الأردنية – العدد ٦٠ – ٢٠٠٣، ص ٣٢٢.

تبرير أماني شعبي بلدينا وجميع شعوب العالم، التي تنتظر من قادة الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية خطوات عملية محددة، واتفاقيات واقعية ترمي إلى محاصرة سباق التسلح"، وقال أيضًا: "نعيش نحن والولايات المتحدة على كوكب واحد، وبدون مشاركتها لن يكون بمقدورنا صياغة السلام على الأرض" فهو بذلك دعا الولايات المتحدة الأمريكية للتعايش، بقوتها ومكانتها وتأثيرها في العالم لأن الاتحاد السوفييتي بدونها لا يستطيع تحقيق مبادرته[١].

ونظرًا لهذه التطلعات الإيجابية التي أعرب عنها جورباتشوف، كان ريجان محظوظًا بما يكفي لوجوده في السلطة كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية، في الوقت الذي تغيّر فيه تفكير قادة الاتحاد السوفيتي وعلى رأسهم جورباتشوف، وبدأوا يتوجهون نحو التوافق مع الجانب الأمريكي[٢]، وقد استغل ريجان هذه الظروف، وعقد العزم على التقارب مع السوفيت، فربما لا تأتي تلك الفرصة مرة أخرى.

لقد مهّدت هذه التوجهات لكل من جورباتشوف وريجان لعقد مؤتمرات قمة جمعت بين الرئيسين، ومن المفارقات في هذا الشأن أن الرئيس الأمريكي كان قد شنّ أعنف هجوم على الاتحاد السوفييتي ووصفه بأنه امبراطورية الشر، ونصح من يريد التعامل مع قادته أن يفعل ذلك على أساس أنهم قوم لا يتورعون عن الكذب، والخداع، والغش في سبيل تحقيق

---

(١) زليخة معلم – مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.

(2) Petersen Tore T., Ronald Reagan: Leadership Style and Foreign Policy, Accra/Ghana, Journal of Historical Society of Ghana, Transactions of the Historical Society of Ghana Press, New Series, No. 8, 2004, P. 164.

أهدافهم، على الرغم من ذلك عقد ريجان مع الاتحاد السوفيتي أربع مؤتمرات قمة واتفاقية أساسية حول خفض التسليح[١]، وفيما يأتي بيان هذه القمم ونتائجها:

قمة جنيف ١٩-٢١ نوفمبر ١٩٨٥:

وثقت قمة جنيف علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالاتحاد السوفييتي، فقد كانت عبارة عن جلسات تعارف وحسّنت بقدر كبير من أجواء العلاقة السوفييتية بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد دارت مفاوضات بين الرئيسين حول الأسلحة النووية وأسلحة الفضاء، واتفقا على زيادة العمل في هذه المفاوضات" وكان الطرفان على أتم الاستعداد لخفض الأسلحة الهجومية بنسبة ٥٠٪ ، وقد قيّم جورباتشوف قمة جنيف، فقال: تقدمنا ببرنامج لتصفية الأسلحة النووية على مراحل تمتد لمدة خمسة عشر عاما، وتنتهي بنهاية القرن العشرين، وسعينا في كل مرحلة إلى مراعاة المصالح المتبادلة المتوازنة، بغية عدم الإخلال في أية مرحلة بالمصالح الأمنية لأي بلد، وتقدّم ممثلونا في مباحثات جنيف بطائفة واسعة من مقترحات الحلول الوسط، واستهدفت الحيلولة دون عسكرة الفضاء[٢]، ولكي يتحقق ذلك أكد جورباتشوف على ضرورة معرفة الجانبين الأمريكي والسوفيتي المعلومات الكافية عن قوة الطرف الآخر؛ حتى يضمن بأنه لن يكون هناك مزايا أحادية

[١] زليخة معلم – مرجع سبق ذكره، ص ٨٥.

[٢] زليخة معلم – المرجع السابق، ص ٨٦.

لطرف على حساب الطرف الآخر[1]، ويمكن اعتبار أن قمة جنيف مهَّدت للقاءات تالية.

قمة ريكيافيك ١١-١٢ أكتوبر ١٩٨٦:

عقد هذا الاجتماع عندما التقى الرئيسان ريجان وجورباتشوف، لمدة إحدى عشرة ساعة في ريكيافيك*، ركز هذا اللقاء على خفض السلاح والذي أخذ الوقت الكامل المخصص للمحادثات، وفي هذا المجال حددت الخارجية الأمريكية نطاق المناقشات في: إجراء بناء الثقة، والتقليل من الأخطار النووية، والإمكانات القائمة في مجال منع الانتشار النووي، والأسلحة الكيميائية. كان الزعماء على وشك اتخاذ قرار بالخلاص من جميع الأسلحة الاستراتيجية لكن أدى إصرار ريجان على مواصلة مبادرة الدفاع الاستراتيجي إلى سحب الزعيم الروسي عروضه المبهرة من طاولة التفاوض. ومما توصل إليه الطرفان في النهاية يمكن حصره في النقاط الآتية: مضاعفة الجهد لعقد اتفاقيات تنص على خفض الأسلحة الاستراتيجية إلى النصف، وسحب الجانبين السوفيتي والأمريكي الصواريخ متوسطة المدى من أوروبا، وخفض السوفيت صواريخهم متوسطة المدى المنصوبة في الشرق الأقصى من

(1) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 125, Memorandum of Conversation "The Secretary's Meeting with Gorbachev", Moscow, February 22, 1988, P. 764.

* ريكيافيك هي عاصمة أيسلندا، وأكبر مدينة بها، تقع في شبه جزيرة سيلتجامار Seltjarnar، في الركن الجنوبي الشرقي من خليج فاكسا Faxa، في جنوب غرب أيسلندا، وأيسلندا هي دولة عبارة عن جزيرة تقع في شمال المحيط الأطلسي. انظر: موقع الموسوعة البريطانية (زرت هذا الموقع في يناير ٢٠٢١) https://www.britannica.com

أربعمائة (٤٠٠) صاروخ إلى مائة (١٠٠) صاروخ، وأعطت الولايات المتحدة الأمريكية الحق في نشر صواريخ متوسطة المدى بالمنطقة ذاتها[١]، وكان الجانب السوفيتي قد اقترح خلال تلك القمة حظرًا على تطوير واختبار ونشر أنظمة مخصصة أو أنظمة فضائية قادرة على ضرب أهداف في الغلاف الجوي، أو على سطح الأرض[٢].

وقد شكلت قمة ريكيافيك سنة ١٩٨٦ م انتكاسة حقيقية لسياسة "جورباتشوف"، كونه قدم العديد من التنازلات فقد تخلى على مبدأ المساواة في تخفيض الأسلحة النووية وتخلى عن التخفيض المتبادل للأسلحة البالستية والغواصات النووية ما بين الشرق والغرب إلا أنها كانت مبادرة قوية بادرها الطرف المفاوض السوفيتي، وأن نتائجها عقيمة لإصرار ريجان على مبادرة الدفاع الاستراتيجي[٣]، التي استهدفت إنشاء غطاء حماية صاروخي باهظ التكاليف،[٤] وأن الرئيس ريجان أراد استخدام تلك المبادرة للضغط على السوفيت أثناء مفاوضات تخفيض التسلح[٥]. ورغم أن قمة ريكيافيك لم تؤد

---

[١] زليخة معلم – مرجع سبق ذكره، ص ص ٨٦ – ٨٧.

(2) FRUS, Volume V, Soviet Union, March 1985 - October 1986, Document No. 296, Paper Prepared by the Senior Arms Control Group and the Arms Control Support Group, Washington, October 6, 1986, P. 1251.

[٣] زليخة معلم – المرجع السابق، ص ص ٨٦ – ٨٧.

[٤] أودو زاوتر – رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٧٨٩ حتى اليوم – دار الحكمة – لندن ٢٠٠٦، ص ٢٨٩.

(5) Viswanathan Vivek, Fallout from Reykjavik: Reagan's Stand and the Fate of Arms Control, New York/US, Journal of Fenimore Art Museum, Fenimore Art Museum Press, Vol. 87, No. 1, 2006, P. 136.

إلى اتفاق، إلا أن الجانب الأمريكي اعتبرها مثمرة؛ باعتبارها أدت إلى تعزيز وتطوير المحادثات البينية، وأنها خطوة مكملة لما سيأتي بعدها[١]، وأدرك الجانب السوفيتي أن تقديمه تنازلات من جانب واحد، لا يؤدي إلى التوصل لاتفاق مع الجانب الأمريكي، بل إن ذلك يؤدي إلى تعنُّت أمريكي، وأن الأمر يتطلب المزيد من التَّأني.

وكان الرئيس ريجان قد أكّد لجورباتشوف خلال قبل قمة ريكيافيك أن هدف مبادرة الدفاع الاستراتيجي ليس انتاج أسلحة هجومية، بل الهدف منها هو إنتاج أنظمة دفاعية متقدمة محمولة في الفضاء تستطيع القيام بالدفاع المباشر ضد الصواريخ الباليستية الهجومية التي تمر عبر الفضاء مسببة دمار شامل على الأرض[٢]، ويُرجع البعض إصرار ريجان وتمسُّكه بهذه المبادرة، إلى رأيه الذي يعتبر أن من الضروري تصعيد القوة العسكرية واعتبارها الأساس الذي يجب أن تقوم عليه السياسة الخارجية[٣]. ورغم فشل اجتماع قمة ريكيافيك، إلا أنه يعد من الأحداث المهمة منذ بدء المرحلة الجديدة في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وتوجُّه جورباتشوف نحو اتباع سياسة الوفاق مع الولايات المتحدة، بعد تطبيق

(1) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 66, Memorandum of Conversation "Overview of Shevardnadze Visit, Human Rights", Washington, September 15, 1987, P. 296.

(2) FRUS, Volume V, Soviet Union, March 1985 - October 1986, Document No. 254, Letter from President Reagan to Soviet General SecretaryGorbachev,Washington,July25,1986,P.1033.

[٣] سليم الحسَني – مبادئ الرؤساء الأمريكان – الطبعة الثانية – دار الإسلام للدراسات والنشر – لندن ١٩٩٣، ص ١٢٤.

استراتيجية البيريسترويكا[١]. وبعد فشل قمة ريكيافيك، لم تتوقف محاولات تطبيق سياسة الوفاق بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة؛ ذلك لأن إدارة الرئيس ريجان كانت تعمل على إقامة علاقات أفضل مع السوفيت على المدى الطويل من خلال اتباع سياسة (العصا والجزرة)، أي ترغيب السوفيت في إقامة علاقات صداقة مع الولايات المتحدة، وترهيبهم أو تخويفهم من عداوتها[٢]؛ ولذلك اجتهد الجانبان من أجل التوصل إلى سياسة توافقية، فكانت قمة واشنطن.

قمة واشنطن ديسمبر ١٩٨٧:

وخلال تلك القمة حلم ريجان بسيناريو هوليودي حقيقي لأول زيارة لجورباتشوف إلى الولايات المتحدة، كان يريد أن يأخذ السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي برحلة تجوالية في البلاد الأمريكية، يريه الأسواق الوفيرة، وأحواض السباحة ذات الخلفية المتلألئة، والضواحي المزدهرة، ومدن ناطحات السحاب، وظن ريجان أنه إذا استطاع أن يُري القائد السوفيتي هذه الأعاجيب بشكل مباشر، فلربما يدرك أن ثمار الحرية والديموقراطية والرأسمالية هي الظاهرة بامتياز عن أي شيء شيوعي يمكن أن يصنعه[٣].

(1) Gorbachev Mikhail S., The Revolution and Perestroika, New York/US, Journal of Foreign Affairs, Council on Foreign Relations press, Vol. 66, No. 2, 1987, P. 422.

(2) Dobson Alan B., The Reagan Administration, Economic Warfare, and Starting to Close Down the Cold War, Oxford/UK, Journal of Diplomatic History, Oxford University Press, Vol. 29, No. 3, 2005, P. 532.

(٣) ديفيد ايخمان – ميخائل جورباتشوف سيرة ذاتية مفصّلة – ترجمة دار طلاس – دار طلاس للترجمة والنشر – دمشق ١٩٩٠، ص ٣٢١.

لقد كان جورباتشوف في هذه القمة أكثر تفاؤلاً وحماسة مقارنة بقمة موسكو مايو ١٩٨٨[١]؛ ورأى بأنه يجب أن يعود من واشنطن ببعض الإحرازات الواضحة: منها خفض التوتر العالمي، والتقدم نحو اتفاقات مراقبة التسلح، وهذان الهدفان مطلوبان لتحويل الإنفاق من الجناح العسكري إلى الاقتصاد المدني، أما ريجان فكان يأمل كسب المصادقة على معاهدة القوى النووية المتوسطة المدى Intermediate-Range Nuclear Forces واختصارها INF، والوصول إلى اتفاق حول الأسلحة الاستراتيجية، أي أن لقاء القمة كان بمثابة لقاء الآمال الكبيرة، والتوقعات التي يظن كلا القائدين أنها سوف تكون أكثر فعالية من اللقاءين السابقين لهما، إضافة إلى أنها تُعد أول زيارة لواشنطن من قبل قائد سوفيتي منذ عام ١٩٧٣. وربما من المثير أن هذه الزيارة شهدت أول مرة ينظر فيها الشعب الأمريكي للرجل الذي سبب تلك الاضطرابات السياسية الجذرية في الاتحاد السوفيتي[٢]، لقد عُقدت قمة واشنطن في ديسمبر ١٩٨٧، وأسفرت عن التوصل إلى صيغة توفيقية حول حرب النجوم[٣]، ونالت جهود جورباتشوف لتحسين العلاقة بين الجانبين الأمريكي والسوفيتي خلال تلك القمة تقدير الولايات المتحدة، وأدت تلك الجهود إلى تحسين العلاقة التي كانت بعيدة كل البعد، ولم يكن السعي

(1) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 106, Memorandum for the Record "Secretary's Ride with Gorbachev", Washington, December 7, 1987, P. 609.

[٢] ديفيد ايخمان – المرجع السابق، ص ٣٢٣.

[٣] زليخة معلم – مرجع سبق ذكره، ص ٨٨.

للتعاون سهلاً[١]؛ لأنه كان لدى كل طرف مخاوف تجاه الطرف الآخر، وهو ما أجّج سباق التسلّح والمنافسة بينهما، والتّحوُّل من التَّخوُّف إلى الثقة تطلّب جُهدًا كبيرًا.

قمة موسكو مايو ١٩٨٨:

انطلقت أعمال هذه القمة بوصول الرئيس الأمريكي ريجان إلى موسكو في الفترة من ٢٩ مايو حتى ٢ يونيو ١٩٨٨، وتمت المحادثات على مراحل، وجرت الجولة الأولى على انفراد بين الرئيسين وشهدت مباحثات تمهيدية طرحت فيها عدة قضايا مشتركة تتعلق بحقوق الإنسان، وغيرها من المسائل المتعلقة بالمجال الإنساني، وتسوية النزاعات الإقليمية والعلاقات الثنائية بين البلدين، ثم وقّع الطرفان على اتفاقيتين تتعلقان بالأخطار والتجارب على الصواريخ العابرة للقارات، وإجراء التجارب المشتركة الرامية إلى قياس قوة التجارب النووية[٢]. وقد حظيت قمة موسكو بتغطية إعلامية سوفيتية كبيرة، ونقلتها جميع البرامج التلفزيونية[٣]، وخلال تلك القمة دعا جورباتشوف إلى تجاوز حقبة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين،

(1) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 107, Memorandum of Conversation "Meeting with General Secretary Mikhail Gorbachev of the USSR", Washington, December 8, 1987, P. 612.

[٢] زليخة معلم – مرجع سبق ذكره، ص ٨٨.

(3) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 163, Memorandum of Conversation, Moscow, June 1, 1988, P. 1117.

وقال: "دعونا لا نبني قلاع في الهواء، دعونا لا نعمل على أساس الأوهام، ولكن على أساس سياسة حقيقية(١).

وفي قمة موسكو اقترح جورباتشوف على الرئيس الأمريكي ريجان التعاون البنّاء في مجال الفضاء؛ فلدى البلدين قدرات جيدة في هذا المجال، وإذا تعاونا في مشروع مشترك، سيكون ذلك أمرًا عظيمًا للغاية، وأنه من الصعب على دولة العمل بمفردها في الفضاء، وأن السوفيت يودون التعاون مع الولايات المتحدة في مهمة مشتركة إلى المريخ، ورغم أن هذا المشروع طويل الأجل، ويتطلب الكثير من العمل، ولا يمكن إنجازه بين عشية وضحاها، إلا أن المهم هو البدء في هذا المشروع، وأن التعاون في هذا الأمر سيكون مفيدًا للغاية، وقد انتهى المقترح السوفيتي بإعلان الجانبين عن إعداد وتنفيذ مهمة مأهولة إلى المريخ من خلال برنامج ثنائي أمريكي سوفيتي، ويُعد هذا مشروعًا كبيرًا وواعدًا، والذي قد يصبح دوليًا في المراحل اللاحقة، وتم الاتفاق على أن يبدأ الخبراء في كلا البلدين النظر المشترك في جوانب هذا البرنامج(٢). ولا شك أن التعاون بين السوفيت والجانب الأمريكي في مجال الفضاء، قد أزال المخاوف السوفيتية بشأن مبادرة الدفاع الاستراتيجي، التي كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالفضاء، وتستهدف التوصّل إلى سلاح يمكن استخدامه من الفضاء لمواجهة التهديدات النووية السوفيتية،

(1) FRUS, Volume VI, Soviet Union, October 1986 - January 1989, Document No. 181, Memorandum of Conversation "The President's Luncheon with Chairman Gorbachev", New York, December 7, 1988, P. 1243.

(2) FRUS, Global Issues II 1981-1988, Volume XLI, Document No. 109, Memorandum of Conversation "The President's First One-on-One Meeting with General Secretary Gorbachev", Moscow, May 29, 1988, P. 330.

ونتج عن التعاون بين الجانبين في مجال الفضاء إلى اطلاع السوفيت على أحدث ما توصل إليه الأمريكيون في هذا المجال.

نتائج لقاءات القمة السوفيتية الأمريكية

لعبت اتصالات جورباتشوف المباشرة مع الولايات المتحدة المتمثلة في لقاءات القمة المشارة إليها دورًا مهمًا في التغلب على حالة عدم الثقة والشك العميق الذي كان ينتاب قادة الولايات المتحدة ومدى استعدادهم لتغيير سياستهم ونهجهم تجاه السوفيت، يتضح ذلك في تطور موقف الرئيس الأمريكي ريجان من السوفيت خلال فترتيه الرئاسيتين ١٩٨١-١٩٨٩، ففي الفترة الثانية كانت سياسته أكثر تجاوبًا من الفترة الأولى التي شهدت خطابًا متشددًا ضد الاتحاد السوفيتي(١).

فقد أعلن ريجان فور تنصيبه رئيسًا للولايات المتحدة قائلاً: "الإمبراطورية السوفيتية يجب أن تعلم أنه لن يكون هناك المزيد من التنازلات من الولايات المتحدة ما لم يكن هناك تنازل في المقابل"، وقبل لقائه مع جورباتشوف في ريكيافيك، كرر الرئيس الأمريكي موقفه تجاه السوفييت بهذه الكلمات: "الهدف النهائي للولايات المتحدة ليس فقط منع الحرب، ولكن نشر الديموقراطية، وأن ترى أن كل أمة ... تتمتع بنعمة الحرية، كما توجه ريجان نحو خلق موقف يمكّن الولايات المتحدة من التفاوض مع السوفيت من موقع القوة، ويتحقق ذلك من خلال برنامج مكثف لإعادة التسلح، وفي مقابلة بين ريجان وعدد من المفكرين السياسيين قبل قمة جنيف ١٩٨٥، تنوعت الآراء

(1) Jackson William D., Soviet Reassessment of Ronald Reagan, 1985-1988, New York/US, Journal of Political Science Quarterly, The Academy of Political Science, Vol. 113, No. 4, 1999, P.643.

حول ما يجب أن تكون عليه الأهداف النهائية للسياسة الأمريكية في الصراع مع الاتحاد السوفيتي، وتراوحت هذه الأهداف بين أهداف متواضعة لتحقيق نوع من توازن القوى بين الجانبين، وأهداف أخرى تجاوزت حد الاعتدال، كالحد من التعدي السوفيتي، وانسحاب القوات العسكرية السوفيتية من أفغانستان إلى داخل حدودها، ومنع انتشار الأيديولوجية الماركسية اللينينية في العالم، بالإضافة إلى الهدف بعيد المدى وهو إحباط ديمومة النظام السوفيتي، وقد اتفقت جميع الآراء على أن حربًا كبرى ستقع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لتحقيق هذه الأهداف، إلا أن الولايات المتحدة لم تكن ترغب في ذلك؛ فركزت في استراتيجيتها على نقاط الضعف السوفيتية، وليس المقصود الضعف العسكري، بل المشكلات الداخلية التي تتعمق في داخل الاتحاد السوفيتي، وكان الاقتصاد أحد مجالات الضعف التي يجب استغلالها، حيث أعرب بعض أعضاء إدارة ريجان عن إمكانية استدراج الاتحاد السوفيتي إلى منافسة اقتصادية وعسكرية شاملة، ومنع وصول التكنولوجيا الغربية إلى السوفيت، إلا أن هذا لم يفت في عضد الاتحاد السوفيتي الذي زاد ميزانية الدفاع لعام ١٩٨٥ من (١٧) سبعة عشر مليار روبل، إلى (١٩) تسعة عشر مليار روبل، وزيادة أخرى عام ١٩٨٧ بلغت (٢٠.٢) عشرين مليار ومائتي مليون روبل، ويبدو أن هذا مؤشر على قدرة الاتحاد السوفيتي على مواصلة سباق التسلح بغض النظر عن التكاليف[1]، فالتنازلات السوفيتية خلال اللقاءات مع الجانب الأمريكي لم تكن ضعفًا، بل كانت برهانًا على صدق نوايا السوفيت في التقارب مع الولايات المتحدة.

(1) Cooper Leo, The political economy of Soviet military power, Martin's Press, New York, 1989, P.P. 218-222.

في الحقيقة استفادت الولايات المتحدة الأمريكية من توجّه جورباتشوف نحو تطبيق استراتيجية البيريسترويكا، والتي أدت إلى تقارب السوفيت من الغرب، وعلى رأسهم الولايات المتحدة، وقد اعتبر البعض أن ذلك يُعد انتصار يحسب للغرب على السوفيت في إطار الحرب الباردة التي دارت بينهما منذ مارس ١٩٤٦، إلا أن الانتصار الحاسم الذي حققته الولايات المتحدة والغرب على السوفيت فيتمثل في انقلاب ١٩ أغسطس* عام ١٩٩١ الذي أوصل بوريس يلتسن Boris Yeltsin (١٩٣١-٢٠٠٧) *

---

* في صباح ١٩ أغسطس عام ١٩٩١ أعلنت مجموعة من كبار القادة السوفيت – بينهم نائب الرئيس ووزير الدفاع ووزير الداخلية وغيره – ممن يشكلون لجنة الدولة لحالة الطوارئ – سبقت الإشارة إليها – إدارة شؤون البلاد، في حين كان جورباتشوف يتمتع بإجازته السنوية في القرم على البحر الأسود. واستمر هذا الانقلاب على جورباتشوف خلال الفترة من ١٩ –٢٢ أغسطس ١٩٩١، إلا أن هذا الانقلاب فشل في تحقيق هدفه، في ٢١-٢٢ أغسطس تم اعتقال أعضاء لجنة الدولة لحالة الطوارئ، وأصدر يلتسن – رئيس روسيا الذي لم يؤيد الانقلاب– مرسومًا يقضي بإيقاف نشاط الحزب الشيوعي السوفيتي، ومصادرة ممتلكاته كافة؛ فانتقلت السلطة كلها إلى يلتسن، بعد أن استقال جورباتشوف في ٢٥ ديسمبر ١٩٩١، وفي اليوم التالي أصدر المجلس الأعلى لجمهوريات الاتحاد السوفيتي بيانًا اعترف فيه باستقلال الجمهوريات، وتفكك الاتحاد. انظر: نجم عبد المحسن، المرجع السابق، ص ٤٧.

* ولد بوريس يلتسين في ١ فبراير ١٩٣١، بسفيردلوفسك Sverdlovsk (يكاترينبرج Yekaterinburg الآن) – روسيا، وهو سياسي روسي أصبح رئيسًا لروسيا في عام ١٩٩٠، وفي عام ١٩٩١ أصبح أول زعيم منتخب شعبياً في تاريخ البلاد، قاد روسيا خلال عقد عاصف من الانكماش السياسي والاقتصادي حتى استقالته عشية عام ٢٠٠٠، توفي في ٢٣ أبريل ٢٠٠٧. انظر: موقع الموسوعة البريطانية (زرت هذا الموقع في يناير ٢٠٢١) https://www.britannica.com

إلى السلطة، حيث إنه منذ هذه اللحظة فصاعدًا، وجد قادة العالم الرأسمالي الذي كانوا يحلمون منذ عام ١٩١٧ بتحلل الاتحاد السوفيتي، وإلى جانبهم زعماء الولايات المتحدة يعدّون له منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت أول علامات هذا التحلّل هو تفجير الاتحاد السوفيتي بالقوميات المتصارعة، ولم يكن ذلك بمثابة صدفة تاريخية، بل كان كامنًا في المنطق الداخلي لإحلال الرأسمالية، فالقرن العشرين يعتبر قرن النمو الرأسمالي الهائل، وفي الوقت ذاته "قرن القوميات"، ولتحقيق هذه الأهداف أخذوا يجتهدون لإيصال يلتسن إلى السلطة، وإبقائه فيها[١].

هذا على الرغم من أن جورباتشوف اعتبر أن بوريس يلتسن وقف بجانبه أثناء محاولة انقلاب ١٩ أغسطس، وأن وقوفه ضد المتآمرين لعب دورًا مهمًّا في إفشال الانقلاب، وأنه تصرّف بطريقة حاسمة، متحمّلا كل المسئوليات بنفسه، ولذلك عندما عاد جورباتشوف إلى موسكو بعد فشل الانقلاب، أقرّ جميع المراسيم التي أصدرها يلتسن أثناء محاولة الانقلاب[٢]. كان جورباتشوف قد استعان ببوريس يلتسن لمساعدته في تنفيذ استراتيجية البيريسترويكا، ومواجهة المقاومة الشرسة من كبار رجال الحزب الشيوعي، فانقلب الأخير عليه «سياسيًا» وقدم المزيد من الحريات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وأصبح يلتسن، أول رئيس لروسيا الاتحادية، بعد

---

[١] روجيه جارودي – موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي – ترجمة نورا أمين – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ١٩٩٨، ص ٩٥-٩٦.

[٢] ميخائيل جورباتشوف – جورباتشوف وحكاية الانقلاب "ثلاثة أيام هزت العالم" – ترجمة فؤاد حطيط – دار عام ألفين – باريس ١٩٩٢، ص ٢٨.

استقالة جورباتشوف، والإعلان عن تفكك الاتحاد[1]. فالبيريسترويكا وإن أدت إلى تقارب السوفيت مع الولايات المتحدة، ونمّت العلاقة بينهما، إلا أنها أدت أيضًا إلى ضعف العلاقة بين الشيوعية السوفيتية والشيوعية في الدول التابعة للاتحاد السوفيتي، خاصة دول شرق أوروبا، التي انتشرت فيها الحركات القومية، ودعت إلى الانفصال عن جسد الاتحاد السوفيتي، من جانبه استغل الغرب هذه الدعوات، وعمل على تنميتها، وانتهى الأمر بانفصال تلك الدول، وانهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١.

(1) See: https://www.almasryalyoum.com (زرت هذا الموقع في يناير ٢٠٢١) موقع المصري اليوم

نتائج البحث

لجأ الاتحاد السوفيتي خلال عهد جورباتشوف إلى تطبيق استراتيجية البيريسترويكا؛ لإصلاح الفساد الذي استشرى في بعض جوانب الحياة السوفيتية، وبعد دراسة هذا الموضوع، يمكن التوصُّل إلى عدة نتائج، من أبرزها:

١. تمكّن الاتحاد السوفيتي من تأسيس كيان دولي قوي، خلال فترة زمنية ليست طويلة ١٩٢٢-١٩٩١، حيث امتلك إحدى أهم ترسانتين عسكريتين في العالم، وتحوّل من دولة زراعية إلى دولة صناعية، لكنه منذ منتصف السبعينيات من القرن العشرين؛ وبسبب بعض السياسات كالمركزية وغيرها، لم يستطع الاستمرار عند هذا المستوى، وبدأ يدخل في مرحلة من الضعف، وأصبح غير قادر على منافسة الولايات المتحدة، وتطلب الأمر علاج هذا الفساد؛ فكانت استراتيجية البيريسترويكا على يد ميخائل جورباتشوف.

٢. على الرغم من قبول الشعب السوفيتي لسياسة البيريسترويكا، إلا أنه في الوقت ذاته قُوبلت بمعارضة قوية من بعض الفئات التي وجدت فيها تهديدًا لمصالحهم، لكن جورباتشوف لم يعبأ بهذه المعارضة، وبدأ في تنفيذ استراتيجيته الجديدة.

٣. نجحت استراتيجية جورباتشوف في إيقاف تدهور الاقتصاد السوفيتي، إلا أنها في الوقت ذاته أضعفت من سطوة الحزب الشيوعي السوفيتي، وقللت من نفوذه في جمهوريات الاتحاد؛ مما أدى إلى انفصال تلك الجمهوريات، وتفكك الاتحاد السوفيتي.

٤. تركت البيريسترويكا أثرًا قويًا على العلاقات السوفيتية الأمريكية، حيث شهدت الفترة التي تلت انطلاق تلك الاستراتيجية لقاءات قمة بين الرئيسين السوفيتي والأمريكي، وبدأ الاتحاد السوفيتي في تطبيق سياسة الوفاق مع الولايات المتحدة، وأخذت العلاقات بين الجانبين دفعة قوية نحو الأمام، حيث حدثت انفراجة، وتوافقت الرُّؤى حول بعض القضايا، أبرزها قضية سباق التسلُّح، كما انفتح السوفيت على النظام الديموقراطي الأمريكي، وتحرير الاقتصاد من سطوة المركزية.

التوصيات

بعد دراسة استراتيجية البيريسترويكا، وأثرها في تنمية العلاقات السوفيتية الأمريكية، يمكن التوصل لعدة توصيات، أبرزها:

١. إن وصول دولة ما إلى مصاف الدول الكبرى، وتحقيق نجاحات على المستوى الدولي، ربما يكون ممكنًا، إلا أن الحفاظ هذا المستوى المتميِّز ليس سهلاً، حيث إن الأمر يتطلب مزيدًا من الجهد والعمل، واستشراف المستقبل، والتنبؤ بالمعوِّقات المستقبلية، والتأكد من جاهزية الدولة في التعامل معها عند وقوعها؛ فالاتحاد السوفيتي نجح في الوصول إلى القمة – مناصفة مع الولايات المتحدة – في فترة زمنية ليست طويلة، إلا أنه لم يستطع الحفاظ على ذلك؛ بسبب المعوقات الداخلية التي لم يتوجه نحو مواجهتها إلا بعد فوات الأوان، حين أصبحت المواجهة غير مجدية، فانهار وتفكك، وانفصلت عنه الدول التي كانت تتبعه؛ ولذلك ينبغي على الدولة سرعة مواجهة الفساد والقائمين عليه فور كشفه، والتغلُّب على آثاره السلبية، كما ينبغي تطبيق مبدأ المكاشفة والمصارحة، وإعلام الشعب بالواقع، وإشراكه في إيجاد الحلول المناسبة.

٢. لا ضير أن تبدأ ثورة إصلاح الفساد من الأعلى إلى الأدنى، بمعنى أن تقوم الدولة بالإصلاح، ولا تنتظر أن يصل الأمر إلى قيام الشعب بثورة ضد الفساد، وهذا ما قام به جورباتشوف حين دشّن استراتيجية البيريسترويكا لإصلاح الفساد الذي لحق بالإدارة السوفيتية، التي كان على رأسها جورباتشوف نفسه.

٣. إن التعامل مع المنافسين وارد في العلاقات الدولية، طالما أن هذا التعامل سيعود بالنفع على الدولة؛ فالاتحاد السوفيتي على يد جورباتشوف – بعد أن أدرك حجم الفساد الذي استشرى في الإدارة السوفيتية، وأن هذا الفساد عاد بمردود سيء على الاقتصاد وغيره من نواحي الحياة – لم يتعالى أو يتردد في أن يتعامل مع الولايات المتحدة – أشد منافسيه – حيث طبَّق ديموقراطيتها في الحياة السياسية السوفيتية، وابتعد عن المركزية في الاقتصاد، واقترب أكثر من اقتصاد السوق الحرّ، وقلَّل من حدة سباق التسلُّح؛ لتوفير النفقات، ووجَّهها نحو تنشيط الاقتصاد بقطاعاته المختلفة، وتوافق مع الجانب الأمريكي في بعض القضايا الإقليمية، التي كان الخلاف حولها سببًا في زيادة حدَّة الصراع بينهما.

هذا وبالله التوفيق ومنه العون والسداد،

المصادر والمراجع

الوثائق

- **الوثائق الأجنبية**

أ. الوثائق الأجنبية المنشورة

← وثائق العلاقات الخارجية الأمريكية

(The Foreign Relations of the United States FRUS)

The Years	Volume	Document's numbers
1985-1986	V (5)	296
1985-1986	V (5)	254
1986-1989	VI (6)	1
1986-1989	VI (6)	41
1986-1989	VI (6)	66
1986-1989	VI (6)	104
1986-1989	VI (6)	106
1986-1989	VI (6)	107
1986-1989	VI (6)	125
1986-1989	VI (6)	148
1986-1989	VI (6)	156

1986-1989	VI (6)	160
1986-1989	VI (6)	163
1986-1989	VI (6)	181
1981-1988	XLI (41)	109

المراجع العربية والمعرّبة

١. أرنست ماندل – الاتحاد السوفيتي في ظل جورباتشوف – ترجمة بولا الخوري – دار الواحة – بيروت ١٩٩١.

٢. أودو زاوتر – رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٧٨٩ حتى اليوم – دار الحكمة – لندن ٢٠٠٦.

٣. ديفيد ايخمان – ميخائل جورباتشوف سيرة ذاتية مفصّلة – ترجمة دار طلاس – دار طلاس للترجمة والنشر – دمشق ١٩٩٠.

٤. روجيه جارودي – موجز تاريخ الاتحاد السوفيتي – ترجمة نورا أمين – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ١٩٩٨.

٥. سليم الحسَني – مبادئ الرؤساء الأمريكان – الطبعة الثانية – دار الإسلام للدراسات والنشر – لندن ١٩٩٣.

٦. فرانسيس ويتني وآخرون – موجز التاريخ الأمريكي – وزارة الخارجية الأمريكية – واشنطن ٢٠٠٠.

٧. محمد حسنين هيكل – الزلزال السوفيتي – الطبعة الثانية – دار الشروق – القاهرة ١٩٩٠.

٨. ميخائيل جورباتشوف – البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا وللعالم – ترجمة حمدي عبد الجوّاد – الطبعة الرابعة – دار الشروق – القاهرة ١٩٩٠.

٩. ميخائيل جورباتشوف – جورباتشوف وحكاية الانقلاب "ثلاثة أيام هزت العالم" – ترجمة فؤاد حطيط – دار عام ألفين – باريس ١٩٩٢.

١٠. هشام محمد سعيد – الأحلاف العسكرية والسياسية المعاصرة والآثار المترتبة عليها دراسة فقهية مقارنة – المجلد الأول – دار اليسر للنشر – القاهرة ٢٠١٣.

المراجع الأجنبية

1. Cooper Leo, The political economy of Soviet military power, Martin's Press, New York, 1989.
2. Eatwell John & others, The New Palgrave: problems of the planned economy, The Macmillan Press, London, 1990.
3. Galeotti Mark, Gorbachev and his Revolution, The Macmillan Press, New York, 1997.
4. McCauley Martin, Gorbachev and Perestroika, Martin's Press, New York, 1990.
5. Miller John, Mikhail Gorbachev and the End of Soviet Power, The Macmillan Press, London, 1993.
6. Remington Thomas F., Politics and the Soviet System, Martin's Press, New York, 1989.
7. Water Manon van de, Moscow Theatres for Young People: A Cultural History of Ideological Coercion and Artistic Innovation, 1917–2000, Palgrave Macmillan Press, New York, 2006.
8. White Stephen & others, Developments in Soviet and Post-Soviet Politics, Second edition, The Macmillan Press, London, 1991.
9. William Davies Robert, Soviet history in the Gorbachev revolution, The Macmillan Press, London, 1989.

الرسائل الجامعية

أ- باللغة العربية

١. زليخة معلم – دور ميخائيل جورباتشوف في سقوط الاتحاد السوفيتي ١٩٨٥-١٩٩١ – رسالة ماجستير غير منشورة – قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد خيضر – بسكرة _ الجزائر ٢٠١٥.

ب- باللغة الأجنبية

1. Esther Maria, The Last Days of Illusion": Glasnost in Moscow News, Master Thesis Unpublished, Department of History and Classics, The Faculty of Graduate Studies and Research, University of Alberta, Edmonton, Canada, 1996.

المذكرات

١. ميخائيل جورباتشوف – مذكرات ميخائل جورباتشوف "روسيا الجديدة" – ترجمة فايز الصُّياغ – مؤسسة العبيكان – الرياض ٢٠١٧.

البحوث والمقالات

أ- باللغة العربية

١. إبراهيم محمد محمود – المثقف العربي والبيريسترويكا- بيروت/لبنان – مجلة المستقبل العربي – مركز دراسات الوحدة العربية- العدد ١٢٥ – ١٩٨٩.

٢. حازم الببلاوي – النظام الاقتصادي الدولي المعاصر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة –

الشويخ/الكويت – مجلة العلوم الاجتماعية – مجلس النشر العلمي/ جامعة الكويت– العدد ٣ – ٢٠٠٤.

٣. حسني عبد المعز عبد الباسط – من ترومان إلى ريجان مروراً بماو: رؤساء مرتعشون – الرياض/السعودية – مجلة الدبلوماسي – وزارة الخارجية/معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية – العدد ٦٤ – ٢٠١٢.

٤. خليل قنصل – عسكرة الفضاء: استراتيجية التوتر الدائم والرؤية الأمريكية لصياغة العالم– عمّان/الأردن – المجلة الثقافية – الجامعة الأردنية – العدد ٦٠ – ٢٠٠٣.

٥. عادل حزل الشمري – البيريسترويكا وانعكاساتها على دول أوربا الشرقية – الرياض/السعودية – بحوث دبلوماسية– وزارة الخارجية/معهد الدراسات الدبلوماسية– العدد٧ – ١٩٩١.

٦. فلاديمير ريزنيستشينكو – خمس سنوات من البيريسترويكا – القاهرة/مصر – مجلة المال والتجارة – نادي التجارة– العدد ٢٥٣ – ١٩٩٠.

٧. كاظم هاشم نعمة – البيريسترويكا– بغداد/العراق – افاق عربية– وزارة الثقافة والاعلام/دار الشؤون الثقافية العامة– العدد١ – ١٩٨٩.

٨. محمد سليمان الأطرش – البيريسترويكا والاشتراكية والرأسمالية– بيروت/لبنان – مجلة المستقبل العربي – مركز دراسات الوحدة العربية– العدد ١٢٩ – ١٩٨٩.

٩. مـأمون أمـين زكـي – البيريسـترويكا التنـاقض بـين النظريـة والتطبيـق فـي الفكـر الشـيوعي– بغـداد/العراق – آفـاق عربيـة– وزارة الثقافـة والاعـلام/دار الشـؤون الثقافيـة العامـة– العـدد٢ – ١٩٩٠.

١٠. ميخائل جورباتشوف – تصريح ميخائل جورباتشوف السكرتير العـام للجنـة المركزيـة للحـزب الشـيوعي السـوفيتي ١٩٨٦– القاهرة/مصـر – مجلـة المـال والتجـارة – نـادي التجـارة – العـدد ٢٠٢ – ١٩٨٦.

١١. نجـم عبـد المحسـن – روسـيا نظـرة مـن الـداخل: التحـولات السياسـية والاقتصـادية الاجتماعيـة للفتـرة ١٩٨٥/١٩٩٥– بيروت/لبنان – مجلة المستقبل العربي – مركز دراسات الوحدة العربية– العدد ٢٠٣ – ١٩٩٦.

ب– باللغة الأجنبية

1. Berry M.J., Perestroika and the Changing Nature of East-West Scientific Contacts, Washington/US, Journal of Technology in Society, Pergamon Press plc, Vol. 13, 1991.
2. Dobson Alan B., The Reagan Administration, Economic Warfare, and Starting to Close Down the Cold War, Oxford/UK, Journal of Diplomatic History, Oxford University Press, Vol. 29, No. 3, 2005.
3. Gorbachev Mikhail S., The Revolution and Perestroika, New York/US, Journal of Foreign Affairs, Council on Foreign Relations press, Vol. 66, No. 2, 1987.

4. Holmes Leslie, Perestroika: A Reassessment, Oxford/UK, Journal of Europe-Asia Studies, Taylor & Francis Press, Vol. 65, No. 2, 2013.

5. Jackson William D., Soviet Reassessment of Ronald Reagan, 1985-1988, New York/US, Journal of Political Science Quarterly, The Academy of Political Science, Vol. 113, No. 4, 1999.

6. Norton Anne, Perestroika and the Struggle for Politics, Washington/US, Journal of Perspectives on Politics, American Political Science Association Press, New Series, No. 8Vol. 13, No. 2, 2015.

7. Patman Robert G., Reagan, Gorbachev and the Emergence of 'New Political Thinking', Cambridge/UK, Journal of British International Studies Association, Cambridge University Press, Vol. 25, No. 4, 1999.

8. Petersen Tore T., Ronald Reagan: Leadership Style and Foreign Policy, Accra/Ghana, Journal of Historical Society of Ghana, Transactions of the Historical Society of Ghana Press, New Series, No. 8, 2004.

9. Viswanathan Vivek, Fallout from Reykjavik: Reagan's Stand and the Fate of Arms Control, New York/US, Journal of Fenimore Art Museum, Fenimore Art Museum Press, Vol. 87, No. 1, 2006.

الدوريات

أ- باللغة العربية

١. مجلة آفاق عربية (وزارة الثقافة والاعلام/دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد/العراق).

٢. المجلة الثقافية (الجامعة الأردنية- عمّان/الأردن).

٣. مجلة الدبلوماسي (وزارة الخارجية/معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية – الرياض/السعودية).

٤. مجلة العلوم الاجتماعية (مجلس النشر العلمي/جامعة الكويت – الشويخ/الكويت).

٥. مجلة المال والتجارة (نادي التجارة – القاهرة/مصر).

٦. مجلة المستقبل العربي (مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت/لبنان).

٧. مجلة بحوث دبلوماسية (وزارة الخارجية/معهد الدراسات الدبلوماسية – الرياض/السعودية).

ب- باللغة الأجنبية

1. Journal of British International Studies Association (Cambridge University Press – Cambridge/UK).
2. Journal of Diplomatic History (Oxford University Press - Oxford/UK).
3. Journal of Europe-Asia Studies (Taylor & Francis Press - Oxford/UK).
4. Journal of Fenimore Art Museum (Fenimore Art Museum Press - New York/US).
5. Journal of Foreign Affairs (Council on Foreign Relations press - New York/US).
6. Journal of Historical Society of Ghana (Transactions of the Historical Society of Ghana Press - Accra/Ghana).
7. Journal of Perspectives on Politics (American Political Science Association Press - Washington/US).
8. Journal of Political Science Quarterly (The Academy of Political Science - New York/US).
9. Journal of Technology in Society (Pergamon Press plc - Washington/US).

المواقع الإلكترونية

1. موقع هيئة الإذاعة البريطانية (زرت هذا https://www.bbc.com الموقع في يناير ٢٠٢١)
2. موقع المصري اليوم (زرت https://www.almasryalyoum.com هذا الموقع في يناير ٢٠٢١)
3. موقع روسيا اليوم (زرت هذا الموقع في يناير https://arabic.rt.com ٢٠٢١)
4. موقع الموسوعة البريطانية (زرت هذا https://www.britannica.com الموقع في يناير ٢٠٢١)
5. موقع وزارة الخارجية البولندية (زرت هذا الموقع https://www.gov.pl في يونيو ٢٠٢١)